الكتاب: الأعلام من الصحابة والتابعين
المؤلف: الحاج حسين الشاكري
الجزء: ٣
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الثانية
سنة الطبع: ١٤١٨
المطبعة: ستارة
الناشر: المؤلف
ردمك:
ملاحظات:

سلسلة
الأعلام من الصحابة والتابعين (٣)
المقداد بن عمرو البهرائي
مالك الأشتر
كميل بن زياد
تأليف
حسين الشاكري

هوية الكتاب
اسم الكتاب: من أعلام الصحابة والتابعين
تأليف: حسين الشاكري
الطبعة: الثانية سنة ١٤١٨ ه. ق
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: ستاره
الفلم والألواح الحساسة: تيزهوش
الناشر: المؤلف
صف الحروف: علي المولوي
عنوان المؤلف
الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم المقدسة
زنبيل آباد ٣٠ متري آستانة پلاك ٧٦
كد البريد ٣٧١٦٦
هاتف ٩٢٦٩٩٠ و ٩٢٧٨٧١ - كد ٠٠٩٨٢٥١

بسم الله الرحمن الرحيم
* (إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) * (١)
المقداد بن عمرو البهرائي
الحواريون
خريجو مدرسة: الرسول الأعظم: وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

---

(١) النحل: ١٢٨.

المقدمة
لقد دأب معاوية من خلال تسلطه على الحكم أن
يمارس شتى أساليب التعسف والإبادة لشيعة علي (عليه السلام)
وملاحقتهم بالقتل وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون،
وبقر البطون، وصلب الأجساد العارية على جذوع
النخل، والتشريد، وحرق البيوت وهدمها على أصحابها
وما إلى ذلك من أنواع سبل الإبادة والاستئصال لشيعة
علي (عليه السلام) ومواليه كما دأب على إجرامه، وحاك على
منواله، حكام بني أمية، وبني مروان وبني
العباس.
ولم يسلم من هذا التنكيل حتى الشيوخ والنساء،
والأطفال والمرضى، وخاصة البارزين منهم وعوائلهم
أمثال حجر بن عدي، وميثم التمار، ورشيد الهجري،
وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم مما يطول ذكرهم.
والمنفذ لهذه الأعمال الإجرامية في صيتها زياد الخزي

والعار ابن سمية وابن مرجانة.
واستطاع معاوية بهذه القسوة والأساليب
الوحشية أن ينشر الرعب والخوف والهلع على عامة
المؤمنين، خاصة أهل الكوفة والبصرة، وأن يحد من
تجاهر الكثير منهم بالتشيع والولاء وإضعاف معنوياتهم
إلى حد كبير، بحيث أن الواحد منهم يرضى أن يتهم بالقتل
والسرقة أو الزندقة أو أي جريمة أخرى ولا يتهم بالتشيع
لعلي (عليه السلام) ومذهبه وموالاته.
وعلى رغم كل تلكم الممارسات الوحشية وسبل
الإبادة ما استطاع استئصال جذور التشيع من قلوب
المؤمنين وعقولهم، ولا إطفاء جذوة الحب والولاء
لعلي (عليه السلام) وأهل بيته، وظل رمز التشيع الذي يجسد جوهر
الإسلام الحقيقي الأصيل يسير وينتشر على مر العصور
والأزمان مستهينا بكل ما يجري عليه من العناء ومتحديا
الصعاب والعذاب الذي يمارسه حكام الظلم والجور
ضده.

وسن سب علي (عليه السلام) وشتمه من على منابرهم طيلة ألف شهر. وفرض البراءة من علي (عليه السلام) ودينه واللعن على شيعته ومحبيه، حتى نشأت عليه أجيال، وغرس جذور العداء بين المسلمين، وكأنهم بذلك يدفعون به إلى عنان السماء، ويرفعونه عاليا حتى أصبحت أقدامه فوق رؤوسهم.

قال الشافعي: لما سئله أحد أصحابه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١): ما أقول في رجل أسر أولياءه مناقبه تقية، وكتمها أعداؤه حنقا وعداوة، ومع ذلك فقد شاع ما بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟

سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢)، لم هجر الناس عليا (عليه السلام)، وقرباه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: ما أقول في حق امرء كتمت مناقبه أولياؤه

---

(١) الكنى والألقاب ترجمة الشافعي.

(٢) سفينة البحار مادة خلل.

خوفا، وأعداؤه حسدا، ثم ظهر من بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟
وسئل أيضا، ما الدليل على أن عليا (عليه السلام) إمام الكل في الكل؟ قال: احتياج الكل إليه واستغنائه عن الكل.
وقد نظم السيد تاج الدين الحلي هذا المعنى في قوله:
لقد كتمت آثار آل محمد * محبوهم خوفا وأعداؤهم بغضا
فأبرز من بين الفريقين نبذة * بها ملأ الله السماوات والأرضا
وقال عامر بن عبد الله بن الزبير (١): لابن له ينتقص عليا (عليه السلام):
يا بني إياك والعودة إلى ذلك، فإن [بني أمية] وبني

---

(١) علي في الكتاب والسنة ج ٣ ص ٢٣٩ ح ٢٢، وهناك أحاديث قبله وبعده فراجع.

مروان شتموه ستين سنة، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة.
وإن الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبن شيئا إلا عاودت على ما بنت فهدمته.
ومن هذا المنطلق، وعرفانا بفضل أولئك الصفوة الذين قدموا أنفسهم وما يملكون من غال ونفيس قربانا على مذبح الحرية والعقيدة، والدين والولاء الصادق، للرسول الكريم وأهل بيته الطاهرين (صلى الله عليه وآله) وما أخذتهم في الله لومة لائم. حتى استطاعوا أن يظهروا الحق، ويرسخوا دعائم الدين الحنيف وشريعة السماء، ويفضحوا أساليب الطامعين في الحكم، والمنافقين في الدين، ويكشفوا حقيقتهم الكافرة الحاقدة.
وقد اختصرت على تراجم عدد منهم في هذا الكراس وسنذكر الآخرين في كراسات متتالية ضمن سلسلة " الأعلام: من الصحابة والتابعين ".
ومنه سبحانه وتعالى استمد العون والتسديد فإنه أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.
العبد المنيب
حسين الشاكري
دار الهجرة – قم المقدسة
الفاتح من شهر محرم الحرام سنة ١٤١٨ ه

المقداد بن عمرو البهرائي
هذا هو اسمه الحقيقي، واسم أبيه وقبيلته، فهو المقداد بن عمرو، بن ثعلبة، بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود (١) البهرائي (٢).
وله اسم آخر اشتهر به، وهو: " المقداد بن الأسود الكندي " وسبب ذلك، كان أبوه عمرو بن ثعلبة من شجعان بني قومه، يتمتع بجرأة عالية ربما لم تتهيأ لأحد غيره منهم، دفعته لأن يقتل أحد أبناء قومه، فاضطر إلى الجلاء عنهم حفاظا على نفسه، وحماية لها من طلب الثأر،

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ٤٥٤ - ٤٥٥.
(٢) نسبة إلى بهراء بن عمرو، بطن من قضاعة، كانت منازلهم شمالي الينبع إلى عقبة إيله، ثم جاوروا بحر القلزم.

فلحق بحضرموت (١). وحالف قبيلة كندة التي كانت تتمتع بهيبة مميزة من بين القبائل.
وهناك تزوج امرأة منهم، فولدت له المقداد (٢).
نشأ الفتى في ظل أبيه ورعايته، وحنان أمه وعطفها، ضمن مجتمع ألف مقارعة السيف، ومطاعنة الرمح، فكانت الشجاعة إحدى سجاياه التي اتصف بها فيما بعد، حتى إذا بلغ سن الشباب أخذت نوازع الشجاعة والجرأة تدب في نفسه، فلم يكن هو الآخر أسعد حظا من أبيه، حيث اقترف ذنبا مع مضيفيه " أخواله " فاضطر إلى الجلاء عنهم أيضا.
فقد ذكروا أنه: حين كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي - أحد زعماء كندة - خلاف، فما كان من المقداد إلا أن تناوله بسيفه، فضرب رجله وهرب إلى

---

(١) حضرموت، ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر.
(٢) الإصابة ٣ / ٤٥٤ - ٤٥٥.

مكة (١).
حين وصل إلى مكة، كان عليه أن يحالف بعض
ساداتها كي يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم، لكن طموحه
كان يدفعه إلى اختيار الرجل القوي المرهوب الجانب،
فكان يتريث في ذلك، وكان يقول: لأحالفن أعز أهلها!
ولم يخنع ولم يضعف فحالف الأسود (٢) بن عبد يغوث

---

(١) الإصابة ٣ / ٤٥٤ - ٤٥٥.
(٢) الأسود بن عبد يغوث الزهري: كان من جبابرة قريش،
وأحد كبار المستهزين برسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا خمسة، وقد كفى الله
نبيه إياهم، فحين نزلت الآية * (إنا كفيناك المستهزئين) * أصيب
الأسود هذا بالاستسقاء حتى هلك، أما الأربعة الباقية، فهم:
الأسود بن عبد المطلب أبو لهب عم رسول الله، أصيب بالعمى.
الوليد بن المغيرة كان قد جرح بأسفل قدمه جرحا قديما فانتقض
عليه ومات. والعاص بن وائل، أصيب بشوكة في رجله فقتلته.
والحارث بن طلالة امتخض رأسه قيحا فقتله. راجع السيرة لابن
هاشم ٢ / ٤١.

الزهري (١) فتبناه، وكتب إلى أبيه بذلك، فقدم عليه مكة.
منذ ذلك اليوم صار اسمه المقداد بن الأسود، نسبة لحليفه، والكندي، نسبة لحلفاء أبيه.
وقد غلب عليه هذا الاسم، واشتهر به، حتى إذا نزلت الآية الكريمة: * (ادعوهم لآبائهم) * (٢)، قيل له: المقداد بن عمرو.
وكان يكنى أبا الأسود، وقيل: أبو عمرو، وأبو سعيد، وأبو معبد.
ومن أهم ألقابه: " حارس رسول الله ".

---

(١) المستدرك ٣ / ٢٤٨.
(٢) سورة الأحزاب (٥).

صفاته وأخلاقه
كان فارغ الطول، أسمر اللون، صبيح الوجه، يصفر لحيته، كثير شعر الرأس، أبطن، ضخم الجثة، واسع العينين، مقرون الحاجبين، أقنى الأنف، جميل الهيئة، كما يستفاد ذلك من وصف ابنته له (١).
وكان فارسا شجاعا " يقوم مقام ألف رجل " على حد تعبير عمرو بن العاص (٢)، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٣)، وهو أول فارس في الإسلام وكان من الفضلاء النجباء، الكبار،

---

(١) قالت ابنته كريمة: كان رجلا طوالا، آدم أسمر أبطن، كثير شعر الرأس يصفر لحيته وهي حسنة، ليست بالعظيمة ولا بالخفيفة، أعين، مقرون الحاجبين أقنى، المستدرك ٣ / ٣٤٨.
(٢) اليعقوبي ٢ / ١٤٨.
(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٣٤٨.

الخيار من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) (١) سريع الإجابة إذا دعي إلى الجهاد حتى حينما تقدمت به سنه، وكان يقول في ذلك:
أبت علينا سورة البحوث (٢) * (انفروا خفافا وثقالا) *.
وكان إلى جانب ذلك رفيع الخلق، عالي الهمة، طويل الأناة، طيب القلب صبورا على الشدائد، يحسن إلى ألد أعدائه طمعا في استخلاصه نحو الخير، صلب الإرادة، ثابت اليقين، لا يزعزعه شئ، ويكفي في ذلك ما ورد في الأثر:
" ما بقي أحد إلا وقد جال جولة إلا المقداد بن الأسود فإن قلبه كان مثل زبر الحديد " (٣)، وهو من الذين

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٧٣.
(٢) هي سورة التوبة، ولها عشر أسماء، منها سورة البحوث، سميت بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم، ومن أسمائها: الفاضحة.. الخ - راجع مجمع البيان ٥ / ١.
(٣) معجم رجال الحديث ١٨ / ٣١٥ و ٣١٧.

مضوا على منهاج نبيهم ولم يغيروا ولم يبدلوا (١).
عظيم القدر، شريف المنزلة، هاجر الهجرتين،
وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وتجمعت فيه (رضي الله عنه)
أنواع الفضائل، وأخذ بمجامع المناقب من السبق،
والهجرة، والعلم، والنجدة، والثبات، والاستقامة،
والشرف، والنجابة " (٢).
إسلامه
الذي يظهر من مجمل النصوص أن المقداد كان من
المبادرين الأوائل لاعتناق الإسلام، فقد ورد فيه: أنه
أسلم قديما (٣)... وذكر ابن مسعود أن أول من أظهر

---

(١) معجم رجال الحديث ١٨ / ٣١٥ و ٣١٧.
(٢) رجال بحر العلوم ٣ / ٣٤٥.
(٣) الإصابة ٣ / ٤٥٤ وكذلك في أسد الغابة ٣ / ٤١٠.

إسلامه سبعة، وعد المقداد واحدا منهم وكان من الفضلاء النجباء.
إلا إنه كان يكتم إسلامه عن سيده الأسود بن عبد يغوث خوفا منه على دمه، شأنه في ذلك شأن بقية المستضعفين من المسلمين الذين كانوا تحت قبضة قريش عامة، وحلفائهم وساداتهم خاصة، أمثال عمار وأبيه وبلال وغيرهم ممن كانوا يتجرعون غصص المحنة، فما الذي يمنع الأسود بن عبد يغوث من أن ينزل أشد العقوبة بحليفه إن هو أحس منه أنه قد صبا إلى دين محمد؟؟ سيما وأن الأسود هذا كان أحد طواغيت قريش وجباريهم، وأحد المعاندين لمحمد (صلى الله عليه وآله) والمستهزئين به وبما جاء، إنه – ولا شك – في هذا الحال لن يكون أقل عنفا مع حليفه من مخزوم مع حلفائها.
لأجل هذا كان المقداد يتحين الفرص لانفلاته من ربقة " الحلف " الذي أصبح فيما بعد ضربا من العبودية المقيتة، ولونا من ألوان التسخير المطلق للمحالف يجرده

عن كل قيمة، ويحرم معه من أبسط الحقوق.
كيفية التحاق المقداد بالمسلمين
يروى في السنة الأولى للهجرة قيضت له الفرصة
لأن يلتحق بركب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأن يكون واحدا من
كبار صحابته المخلصين.
" فقد عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعمه حمزة لواءا أبيض في
ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعرضوا عير قريش، وكان
هو وصاحب له، يقال له: عمرو بن غزوال لا زالا في
صفوف المشركين، فخرجا معهم يتوصلان بذلك، فلما
لقيهم المسلمون انحازا إليهم "، فكانت بداية الجهاد
الطويل!
وروي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد بعث عبيدة بن
الحرث بن عبد المطلب على رأس سرية قوامها ستون
رجلا، حتى بلغ ماء الحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي جمعا

من مشركي قريش قوامهم حوالي المائتين رجلا وكان من بينهم المقداد وصاحب له وهو عمرو بن غزوان المازني، وكانا مسلمين يكتمان إسلامهما، وكان على المشركين عكرمة بن أبي جهل، فلما التقى الجيشان تراموا بالنبل، ولم يقع بينهم حرب السيوف، فظن المشركون أن للمسلمين مددا وكمائن، فخافوا وانهزموا. ولم يتبعهم المسلمون.

فانحاز يومئذ المقداد وعمرو بن غزوان إلى المسلمين والتحقوا بهم.

وإنما خرجا مع المشركين لغرض أن يتوصلا إلى المسلمين عن طريقهم.

كانت هذه السرية على رأس ثمانية أشهر من السنة الأولى للهجرة بعدها شهد المقداد في ذلك العام المشاهد كلها.

كان المقداد رجلا ضخما، أسمر اللون، طويل القامة، شجاعا، وكان قديم الإسلام، ولم يقدر على إظهار إسلامه، ولا على الهجرة خوفا من حلفائه.

التحاق المقداد بالمسلمين في يثرب
خلال السنة الأولى للهجرة كان المقداد لا يزال -
هو وبعض المستضعفين - في مكة، تحت هيمنة طغاة قريش
وجبابرتها، وليس من السهل أن يغادرها إلى المدينة، سيما
وإنه حليف للأسود بن عبد يغوث - أحد طغاتها - فإنه لو
فعل لكان مصيره التعذيب والقتل دون أدنى شك، لذلك
كان يترقب فرصة سانحة تمكنه معها الفرار إلى يثرب،
واللقاء بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والالتحاق بركبه، حتى كانت
سرية حمزة بن عبد المطلب - وفي رواية - سرية عبيد الله
بن الحارث بن عبد المطلب، وكان معها نجاته وخلاصه،
فقد خرج هو ومعه عمرو بن غزوان، مع المشركين
ليوهماهم بأنهما يريدان القتال معهم، وهكذا انحازا إلى
سرية حمزة ورجعا معه إلى المدينة.
وكان نزوله وصاحبه في المدينة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وفي ضيافته. والذي يظهر أن المقداد كان من جملة أولئك الوافدين المهاجرين الجدد، وكان عددهم لا يستهان به.
فقد ذكر أحمد بن حنبل بسنده عن المقداد، قال:
لما نزلنا المدينة، عشرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشرة عشرة في كل بيت؟ قال: فكنت في العشرة الذين كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١).
وهذا موقف للمقداد مع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يتجلى فيه عظمة الإسلام، ونبيه الكريم، وهو من المواقف التي تبين قيمة الشهادة، ونبل الكلمة، وسمو الخلق، وغرس الروح الانضباطية لدى المسلم.
فقد سأل النبي (صلى الله عليه وآله) ذات مرة: يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار، فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، ونطق بالشهادة، أفأقتله؟ بعد أن تشهد؟

---

(١) الاستيعاب (على هامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٧٦.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تقتله.
قال: فقلت: يا رسول الله، إنه قطع يدي؟ ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تقتله.
ويلاحظ هنا مدى ارتقاء الإسلام بالنفس البشرية إلى أعالي قمم الكرامة والإنسانية، كلمة واحدة من لسان صادق كفيلة فإنقاذ حياة صاحبها من موت محتم.
غزوة الغابة (١)
الغابة: موضع بالقرب من المدينة من جهة الشام، فيه شجر كثيف ومرعى خصب للإبل، وكان للنبي فيها

---

(١) غزوة الغابة: وقعت في السنة السادسة للهجرة - وتسمى أيضا غزوة ذي قرد.

عشرون لقحة (١).
وفي ذات يوم استأذن أبو ذر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يذهب إلى تلك الإبل ليحتلبها ويغدو بلبنها إليه، فقال له (صلى الله عليه وآله): إني أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك، ونحن لا نأمن عن عيينة بن حصن وذويه، وهي في طرف من أطرافهم.
فألح عليه أبو ذر فقال: يا رسول الله إإذن لي. فلما ألح عليه قال (صلى الله عليه وآله) لكأني بك وقد قتل ابنك، وأخذت امرأتك، وجئت تتوكأ على عصاك (٢).
يقول أبو ذر: والله إنا لفي منزلنا، ولقاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد روحت وصليت، فما كان الليل حتى أحدق بنا عيينة بن حصن في أربعين فارسا، فصاحوا بنا وهم قيام على رؤوسنا فأشرف لهم ابني فقتلوه، وكانت معه امرأته

---

(١) اللقحة: الواحدة من الإبل الحامل، ذات اللبن، جمعها: لقاح.
(٢) قال أبو ذر: كان والله على ما قال رسول الله (ص).

وثلاثة نفر فنجوا، وتنحيت عنهم، وشغلهم عني إطلاق عقل اللقاح (١) ثم صاحوا في أدبارهم، وساقوها أمامهم:

ونترك لأبي معبد – المقداد – يكمل القصة:

قال المقداد بن عمرو: لما كانت ليلة السرح، جعلت فرسي لا يقر لها قرار فقلت والله إن لها شأنا: فلما طلع الفجر أسرجتها ولبست سلاحي، وخرجت حتى صليت الصبح مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم أر شيئا، ودخل النبي (صلى الله عليه وآله) بيته ورجعت إلى بيتي، وفرسي لا يقر له قرار، فوضعت سرجها وسلاحي واضطجعت، فأتاني آت فقال: أن الخيل قد صيح بها.

وكان سلمة بن الأكوع قد غدا قاصدا الغابة ليأتي بلبن اللقاح إلى النبي، فأخبر أن عيينة بن حصن قد أغار في أربعين فارسا على لقاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذها.

---

(١) العقل: ما يربط به الإبل.

قال سلمة: رجعت على فرسي إلى المدينة مسرعا
حتى وافيت على ثنية الوداع (١) فصرخت بأعلى صوتي:
يا صباحاه! ثلاثا، ثم ناديت الفزع؟ الفزع؟ ثلاثا، ثم
وقفت على فرسي حتى طلع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحديد
مقنعا، ثم أقبل المقداد بن عمرو بكامل سلاحه عليه الدرع
والمغفرة، شاهرا سيفه، فعقد له رسول الله (صلى الله عليه وآله) لواءا في
رمحه، وقال: أمض حتى تلحقك الخيول، ونحن على
أثرك.
قال المقداد: فخرجت وأنا أسأل الله الشهادة حتى
أدرك أخريات العدو، فأدركت مسعدة (٢) فطعنته برمح فيه
اللواء، فزل الرمح وعطف علي بوجهه فطعنني، وأخذت
الرمح بيدي فكسرته، وأعجزني هربا، ولحقني أبو قتادة
معمما بعمامة صفراء على فرس له، فسايرته ساعة ونحن

---

(١) ثنية الوداع: مدخل المدينة من طريق مكة.
(٢) مسعدة أحد شجعان المشركين.

نريد اللحوق بمسعدة، فاستحث أبو قتادة فرسه فسبقني إليه فكان فرسه أجود من فرسي حتى غاب عني فلا أراه، ثم لحقته فإذا هو قد قتل مسعدة، وسجاه ببردة.

قال سلمة بن الأكوع: خرجت في الأثر حتى لحقت بهم، فجعلت أرميهم بالنبل وأقول خذها مني وأنا ابن الأكوع.

ثم توافت الخيل منهم المقداد بن عمرو، وأبو قتادة، ومعاذ بن ماعص، وسعد بن زيد، وأبو عياش الرزقي، ومحرز بن نضلة، وعكاشة بن محصن، وربيعة بن أكثم، ولم تزل الإمدادات تترى، حتى انتهوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذي قرد، فاستنقذوا عشر لقائح، وأفلت القوم بما بقي من اللقاح وهي عشرة.

وقتل في هذه المعركة من المسلمين واحد، وهو محرز بن نضلة قتله مسعدة، وفي أول الهجوم قتل ذر ابن أبي ذر.

وقتل من المغيرين المشركين خمسة، مسعدة بن

حكمة، قتله أبو قتادة، وأوثار وابنه عمرو بن أوثار، قتلهما عكاشة بن محصن، وحبيب بن عيينة كان على فرس له، قتله المقداد بن عمرو، وكذلك فرقة بن مالك قتله المقداد أيضا.

ومما قيل في هذه الغزوة – قول حسان بن ثابت – شاعر النبي (صلى الله عليه وآله) قصيدته التي مطلعها:

لولا الذي لاقت ومس نسورها * بجنوب سابة أمس في التقواد

وانتهت هذه الغزوة والاعتداء، بهزيمة المغيرين وقتل خمسة من شجعانهم وقعت هذه الغزوة في السنة السادسة من الهجرة وتسمى أيضا غزوة ذات قرد.

غزوة خيبر

لم نعثر للمقداد في غزوة خيبر موقفا جليا ولا ذكر اسمه في المبارزة. غير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزع الغنائم على

المميزين من أصحابه وزوجاته وأهل بيته، فكانت
للمقداد خمسة عشر وسقا من الشعير، وكمية الوسق
حينذاك حمل بعير، أو ما يعادل ستين صاعا.
سرية نخلة (١)
بعد سبعة عشر شهرا من الهجرة أراد النبي (صلى الله عليه وآله) أن
يستطلع أخبار قريش، ويتحسس تنقلاتهم، ويرصد
تحركاتهم في المنطقة.
فدعى عبد الله بن جحش، وأمره أن يوافيه بكامل
سلاحه. قال: فدعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلمني صحيفة من
الأديم وقال: استعملتك على هؤلاء النفر، فامض حتى إذا
سرت ليلتين، فانشر كتابي، ثم اعمل بما فيه.
قلت: يا رسول الله، أي ناحية أسير؟ فقال: اسلك

---

(١) سميت باسم المكان (قرية قريبة من المدينة).

النجدية، تؤم ركية " بئر ".
فانطلق عبد الله، حتى إذا صار ببئر ضمرة نشر
الكتاب فإذا فيه: سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله
وبركاته، ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير
معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي " بطن نخلة "
فترصد عير قريش.
فقرأ عبد الله الكتاب على أصحابه، ثم قال: لست
مستكرها منكم أحدا، فمن كان يريد الشهادة، فلميض
لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن أراد الرجعة، فمن الآن.
فقالوا جميعا: نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله
ولك، فسر على بركة الله حيث شئت. وكان فيهم المقداد،
وواقد بن عبد الله.
فسار حتى جاء نخلة، فوجد عيرا لقريش فيها
عمرو بن الحضرمي، والحكم بن كيسان، وعثمان بن
عبد الله بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله، ونوفل بن عبد الله
وهم من بني مخزوم.

فخرج واقد بن عبد الله يقدم أصحابه، فوضع
سهمه في كبد قوسه وكان لا يخطئ رميته، فرمى عمرو
بن الحضرمي بسهم فقتله.
واسر عثمان بن عبد الله، وحكم بن كيسان، وأفلت
نوفل بن عبد الله.
واستاق المسلمون العير والأسرى إلى المدينة.
وكان المقداد هو الذي أسر الحكم بن كيسان،
وأنقذه من القتل يقول المقداد: أراد أمير الجيش أن
يضرب عنقه، فقلت: دعه نقدم به على رسول الله (صلى الله عليه وآله).
فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوه إلى الإسلام، فأطال
معه الكلام.
فقال عمر بن الخطاب: تكلم هذا يا رسول الله؟
والله لا يسلم هذا آخر الأبد! دعني أضرب عنقه،
ورفض النبي (صلى الله عليه وآله) قول عمر.
قال الحكم: ما الإسلام؟
قال (صلى الله عليه وآله): تعبد الله وحده لا شريك له، وتشهد أن

محمد عبده ورسوله.
قال: أسلمت.
فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أصحابه، فقال: لو أطعتكم فيه آنفا فقتلته دخل النار.
قال عمر: وقد رأيته أسلم، وأخذني ما تقدم وتأخر.
وهكذا ببركة المقداد أسلم الرجل وحسن إسلامه.

موقف المقداد في بدر

وكان المسلمون قلة ضئيلة في قبال خصمهم، ولم يكن لهم تجربة الحرب بعد، ومع ذلك فقد خف البعض منهم سراعا، بينما تثاقل البعض الآخر ظنا منهم بأن النبي لا يلقى حربا، فكان عدد المقاتلين من المهاجرين والأنصار يزيد على الثلثمائة مقاتل قليلا.
أما أبو سفيان، فحين بلغه تأهب المسلمين للقائه،

دب الذعر في قلبه وساوره قلق شديد على مصير القافلة، فاتجه بالعير نحو الساحل تاركا بدرا إلى يساره حتى نجا بها، عند ذلك أرسل قيس بن امرؤ القيس إلى القرشيين يأمرهم بالرجوع، ويقول لهم: قد نجت عيركم وأموالكم، فلا تحرزوا أنفسكم أهل يثرب فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك، إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم وقد نجاهم الله؟!

وكان أبو سفيان قد أنفذ ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستصرخ أهلها، وينذرهم، بقوله: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة... أموالكم مع أبي سفيان، قد تعرض لها محمد وأصحابه ولا أرى أن تدركوها، ألهب ضمضم مشاعر قريش بندائه، فتجهز الناس سراعا، وأقامت قريش ثلاثا تتجهز، أخرجت أسلحتها، وأعان قويهم ضعيفهم، وغنيهم فقيرهم، ولم يتخلف عن الخروج من أشرافهم أحد إلا أبو لهب، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة:

وكان أبرز مظاهر هذه الحرب فقدان التوازن العسكري والمادي بين الفريقين، فقد كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلا بينما عدد المشركين يتراوح بين تسعمائة وألف رجل.

وقاد المشركون معهم مائة فرس وسبعمائة رأس من الإبل بينما قاد المسلمون معهم فرسا واحدا للمقداد بن عمرو وسبعين رأسا من الإبل يتعاقبون على كل واحد منها الاثنان، والثلاثة، والأربعة، حتى أن النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وزيد بن حارثة يتعاقبون على بعير واحد.

ولما وصل (صلى الله عليه وآله) قريبا من بدر، أخبر بمسير قريش، فأخبر أصحابه بذلك واستشارهم في الأمر ليكونوا على بصيرة من ذلك، وخشي أن لا يكون للأنصار رغبة في القتال، لأنهم عاهدوه على أن يدافعوا عنه في بلدهم فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم.

وكان الموقف في غاية الدقة والحرج، منهم من

يثبط ومنهم من يشجع ويعزم.
ووقف عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وجبروتها، والله ما ذلت منذ أن عزت، ولا آمنت منذ أن كفرت إلى آخر ما تكلم به ثم أردفه أبو بكر مؤيدا لقول صاحبه، فقال لهما اجلسا (١).
واشتد الموقف حيرة وحرجا، نظرا لفقدان التوازن كما أسلفنا، والموقف يتطلب مزيدا من الثبات والإقدام وبث الروح الجهادية بين الصفوف والتسليم المطلق بما يراه النبي ويأمر به.
فقام المقداد وقال بكل عزم: يا رسول الله اقض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: * (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) *، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الضماد لسرنا معك.

---

(١) سيرة المصطفى / ٣٣٩.

وبهذه الكلمة غير الموقف وأعطى المقاتلين عزما وإقداما، فقال له رسول الله خيرا ودعا له (١).
ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشيروا علي أيها الناس.
فقام سعد بن معاذ سيد الأوس وزعيمها والناطق عن الأنصار وقال: كأنك تريدنا يا رسول الله؟
فقال (صلى الله عليه وآله): نعم.
قال سعد: قد آمنا بك - يا رسول الله - وصدقناك وأعطيناك عهودنا، فامض - يا رسول الله - لما أمرت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك، وما نكره أن تلقى العدو بنا غدا، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عن اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله (٢).
كانت كلمات المقداد المهاجري - وسعد الأنصاري -

---

(١) سيرة سيرة المصطفى / ٣٣٩، رجال بحر العلوم ج ٣ ص. ٣٤٥
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٠، سيرة المصطفى / ٣٤٠.

تبعث في نفوس المسلمين الأمل بالنصر على عدوهم الجبار، وتزرع في قلوبهم الصبر على تحمل مكاره الحرب.

لكن يبدوا أن كلمات المقداد كان لها وقع خاص في نفس النبي (صلى الله عليه وآله) فإنه حين سمعها انفرجت أسارير وجهه ابتهاجا كما يظهر من حديث ابن مسعود حيث قال:

لقد شهدت مع المقداد مشهدا لئن أكون صاحبه أحب إلي مما طلعت عليه الشمس! - ثم ذكر كلمة المقداد - وقال: فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشرق وجهه بذلك وسره وأعجبه (١).

بعد ذلك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سيروا بنا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر مصارع القوم. ثم مضى في مسيره حتى نزل وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشر ليلة مضت من شهر رمضان.

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٧٤.

واشتد القتال وحمي الوطيس، وفي أول جولة من
المبارزة قتل صناديد قريش وهم عتبة، وشيبة، والوليد،
وما انجلت الحب حتى قتل سبعون طاغية من صناديد
قريش وشجعانهم، واسر مثلهم، فانهزم الجمع وولوا
الدبر، وقد استشهد من المسلمين أربعة عشر صحابيا،
تجد ذلك مفصلا في أبواب أخرى من هذا الكتاب.
وكان المقداد قد أسر النضر بن الحارث، فلما خرج
النبي (صلى الله عليه وآله) من بدر وقبل أن يصل المدينة، عرض عليه
الأسرى، فنظر إلى النضر بن الحارث فأمده البصر، فقال
لرجل إلى جنبه: محمد والله قاتلي! لقد نظر إلي بعينين فيهما
الموت! فقال الذي إلى جنبه: والله ما هذا منك إلا الرعب.
فقال النضر لمصعب بن عمير: يا مصعب، أنت
أقرب من هاهنا بي رحما كلم صاحبك أن يجعلني كرجل
من أصحابي أن قتلوا قتلت، وأن من عليهم من علي، هو
والله قاتلي أن لم تفعل.
قال مصعب: إنك كنت تقول في كتاب الله كذا

وكذا، وتقول في نبيه كذا وكذا. وكنت تعذب أصحابه وتفعل الأفاعيل بهم.
ثم أمر النبي (صلى الله عليه وآله) عليا أن يضرب عنقه (١) صاح المقداد بأعلى صوته: يا رسول الله، أسيري؟
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم اغن المقداد من فضلك، ثم ضرب علي عنقه (٢) وبدأ تقسيم الغنائم، فكان لكل مسلم سهم ما عدا المقداد، فكان له سهمان سهم له، وسهم لفرسه.
انتهت معركة بدر الكبرى بانتصار المسلمين وخذلان جبابرة المشركين فكانت المنعطف الخطير في تاريخ الدعوة الإسلامية.

---

(١) شرح النهج ج ١٤ ص ١٧١.
(٢) شرح النهج ج ١٤ ص ١٧١.

في أحد
لم أعثر في بطون الكتب على دور مهم للمقداد بن
عمرو بن في معركة أحد إلا إنه كان من الرماة، ومنهم:
سعد بن أبي وقاص، والسائب بن عثمان بن مضعون،
والمقداد بن عمرو، وزيد بن حارثة: إلى آخره (١).
واتفقت مصادر التاريخ، إن المقداد بن عمرو كان
من الرماة المشهورين، وقام بدور فعال يوم أحد، بين
يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) كأمثال عكاشة بن محصن، وسعد بن
أبي وقاص، والسائب بن عثمان بن مضعون، وزيد بن
حارثة، وحاطب بن أبي بلتعة، وعتبة بن غزوان،
وخراش بن الصمة، وقطبة بن عامر، وقتادة بن

---

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٢٤٣.

النعمان (١)، ولم يكن من الرماة الذين عينهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قمة الجبل كما أمر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يوم أحد على الخير الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو وصمدوا أمام هجوم خالد بن الوليد. وعكرمة بن أبي جهل في جيش المشركين فهزموهم (٢).

موقف المقداد من الشورى

لما أيقن عمر بن الخطاب الموت ودنو أجله، وحرصا منه على تنفيذ المخطط والمؤامرة التي دبرت قبل يوم السقيفة في إبعاد علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الخلافة، وتمكين بني أمية منها في شخص عثمان بن عفان وضمانا

---

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٢٤٣.
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٢.

لتتمة مركز الخلافة (١).
جعل أبا طلحة الأنصاري على خمسين رجلا لتنفيذ الخطة بالقوة، كما عين المقداد مشرفا من قبل المهاجرين في خطة محكمة محبوكة.
وأوصى المقداد بن عمرو بقوله، إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم (٢).
وبعد الانتهاء من مراسيم الدفن جمع المقداد أعضاء مجلس الشورى الستة، وهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن أبي عبيدة، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ووقف أبو طلحة الأنصاري على الباب في خمسين رجلا متقلدين سيوفهم لتنفيذ خطة عمر.

---

(١) تجد ذلك مفصلا في الجزء الثاني من كتابنا " علي في الكتاب والسنة ".
(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٧٥، الكامل ج ٣ ص ٦٧.

وجعل الكفة التي فيها عبد الرحمن بن عوف إذا تساوت، لأنه يعلم إنه عبد الرحمن يميل إلى عثمان لمصاهرة بينهما، كما أن طلحة كان من الحاقدين على علي، وسعد بن أبي وقاص انتهازي يريد النار لقرصه أو يميل مع الذي يأمل منه شئ، ويميل لبني أمية.

كان الناس فريقين.

فريق يريدها لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو الفريق المتمثل ببني هاشم وشيعة علي أمثال عمار بن ياسر، والمقداد بن عمرو.

وفريق يريدها لعثمان بن عفان، وهو المتمثل بابن سرح، وابن المغيرة وبقية بني أمية وأتباعهم.

وتعالت الأصوات في هذه الحال كل فريق ينادي باسم صاحبه.

أقبل المقداد على الناس فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقول: أنا المقداد بن عمرو، إنكم إن بايعتم عليا سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمانا سمعنا وعصينا!

فقام عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وقال: أيها
الناس، إنكم إن بايعتم عثمانا سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم
عليا سمعنا وعصينا!
فانتفض المقداد ورد عليه فقال: " يا عدو الله،
وعدو رسوله، وعدو كتابه، متى كان مثلك يسمع له
الصالحون؟ ".
فقال له عبد الله، يا بن الحليف العسيف، ومتى كان
مثلك يجترئ على الدخول في أمر قريش؟
وصاح عبد الله بن أبي سرح: " أيها الملأ إن أردتم
أن لا تختلف قريش فيما بينها، بايعوا عثمان! ".
فنهض عمار بن ياسر وقال: " إن أردتم أن لا
يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليا "، ثم أقبل على ابن
أبي سرح وقال له: يا فاسق يا بن الفاسق، أأنت ممن
يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه في أمورهم؟
فتكلم بنو هاشم وبنوا أمية، فقام عمار بن ياسر
فقال: أيها الناس إن الله أكرمكم بنبيه وأعزكم بدينه،

فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم (١)؟
كانت أصوات الفريقين تعجل في حسم الأمر خوفا من وقوع الفتنة على الخطة التي رسمها عمر. ولما بويع لعثمان بالخلافة، عبر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن عدم رضاه لهذه النتيجة، لكنه سلم بالأمر الواقع، قائلا:
" لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة ".
وفي رواية الطبري: إن عليا (عليه السلام) قال حين بويع عثمان: ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون؟
وقال لعبد الرحمن: والله ما وليته الأمر إلا ليرده إليك، كما فعلها صاحبك من قبل، والله كل يوم في شأن.
فقال عمار: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته، وأنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

---

(١) شرح النهج ج ٩ ص ٥٢.

وقال المقداد: تالله ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، واعجبا لقريش! لقد تركت رجلا ما أقول ولا أعلم أن أحدا أقضى بالعدل، ولا أعلم، ولا أتقى منه؟ أما والله لو أجد أعوانا... الخ.

فقال عبد الرحمان: إتق الله يا مقداد، فإني خائف عليك الفتنة. فالتفت الإمام علي (عليه السلام) نحو المقداد وعمار، وقال مسليا ومهدئا.

إني لأعلم ما في أنفسهم، إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر في صلاح شأنها فتقول: إن ولي الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبدا. وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش (١).

---

(١) شرح النهج ج ٩ ص ١٩٤.

خلفيات الشورى

ذكروا: إن معاوية بعث إلى ابن الحصين (١) ليلا فخلا به وقال له: يا ابن الحصين، بلغني أن عندك ذهنا وقادا، فأخبرني عن شئ أسألك عنه.

قال: سلني ما بدا لك.

قال: أخبرني ما الذي شتت أمر المسلمين وفرق [جمعهم] وأهوائهم؟

قال: قتل الناس عثمان؟ قال: ما صنعت شيئا؟

قال: فمسير علي إليك وقتاله إياك؟ قال: ما صنعت شيئا؟

---

(١) ابن الحصين: هو عمران بن حصين الخزاعي، أسلم عام خيبر، وغزا غزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح - أي فتح مكة مع النبي (صلى الله عليه وآله) كما في الإصابة.

قال: فمسير طلحة والزبير وعائشة، وقتال علي إياهم...
[قتالهم علي في البصرة]؟ قال: ما صنعت شيئا.
قال: ما عندي غير هذا.
قال معاوية: فأنا أخبرك، أنه لم يشتت أمر
المسلمين، ولا فرق أهوائهم، ولا خالف بينهم إلا
الشورى التي جعلها عمر إلى ستة... فلم يكن رجل منهم
إلا رجاها لنفسه، ورجاها له قومه، وتطلعت إلى ذلك
نفسه، ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر،
ما كان في ذلك اختلاف (١).
وهذا هو الواقع كما حلله معاوية.

---

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٨١.

ولادته ووفاته

ولد المقداد بن عمرو في حضر موت في بني كندة (أخواله) عام ٢٤ قبل البعثة.

وكانت وفاته في سنة ٣٣ للهجرة، بعد أن شهد فتح مصر، وقد بلغ من العمر سبعين عاما (١).

وقد ورد في ذلك أنه شهد المشاهد كلها مع رسول (صلى الله عليه وآله) وبعده إلى أن أدركته الوفاة (٢).

فقد كانت له أرض بالجرف بالقرب من المدينة، وكان يتعاهدها زراعة وسقيا ويقضي فيها أوقات فراغه، وذات يوم تناول جرعة من زيت " الخروع " فأضرت

---

(١) الإصابة ٣ / ٤٥٤، وتهذيب الأسماء ٢ / ١١٢، والغدير ٩ / ١١٦.

(٢) الإصابة ٣ / ٤٥٤، وتهذيب الأسماء ٢ / ١١٢، والغدير ٩ / ١١٦.

به، فمات منها (١)، فنقل على أعناق الرجال حيث دفن
بالبقيع (٢)، وكان قد أوصى إلى عمار بن ياسر، فصلى عليه
ولم يؤذن عثمان به، فلما بلغ عثمان موته، جاء حتى أتى
قبره، فقال: رحمك الله، إن كنت وإن كنت يثني عليه
خيرا! فقال الزبير بن العوام:
لألفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي (٣)
يا زبير، تقول هذا؟! أتراني أحب أن يموت مثل
هذا من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) وهو علي ساخط (٤)؟!
وكان عمار قد صلى على ابن مسعود من قبل ولم
يؤذن به عثمان، وذلك بوصية منه، فساءه ذلك واشتد

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ١٦٣.
(٢) الإصابة وغيرها.
(٣) الطبقات ٣ / ١٦٣، واليعقوبي ٢ / ١٧١.
(٤) سفينة البحار مادة قدد.

غضبه على عمار بن ياسر، وقال: ويلي على ابن السوداء!
أما لقد كنت به عليما (١).
فسلام عليه يوم ولد ويوم أسلم وجاهد ويوم
مات ويوم يبعث حيا.
مصادر البحث
معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٨
ص ٣١٤.
الاستيعاب ج ٣ ص ٤٧٢.
أسد الغابة ج ٤ ص ٤٠٩.
الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٨٢.
الدرجات الرفيعة للسيد علي خان ص ٢٢١.
سلسلة الأركان الأربعة لمحمد جواد الفقيه.

---

(١) اليعقوبي ٢ / ١٧١.

الغدير ٩ / ١١٦.
الإصابة ٣ / ٤٥٤.
الطبقات الكبرى ٣ / ١٦٣.
تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٧ - ١٧١.
سيرة المصطفى: ٣٣٩.
شرح النهج ١٤ / ١٧١.
الكامل لابن الأثير ٢ / ١٢٠.
مستدرك الحاكم ٣ / ٣٤٨.

بسم الله الرحمن الرحيم
* (إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) * (١)
مالك الأشتر
الحواريون
خريجو مدرسة: الرسول الأعظم: وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

---

(١) النحل: ١٢٨.

مالك الأشتر
قال فيه الإمام علي (عليه السلام): " لله در مالك وما مالك؟!
وهل قامت النساء عن مثل مالك؟! وهل موجود
كمالك؟! رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول
الله (صلى الله عليه وآله) ". بهذه الكلمات الرائعة خلد الإمام (عليه السلام) مالك
الأشتر (رضوان الله عليه).
مالك بن الحارث بن عبد يغوث إلى أن يصل نسبه
إلى يعرب بن قحطان في الظهر العاشر.
ولد مالك الأشتر بين عام ٢٥ - ٣٠ قبل الهجرة
النبوية المباركة (١).
كان مالك من المؤمنين الذين شهد لهم النبي (صلى الله عليه وآله)
بذلك، ولم يره، حينما أخبر أبا ذر بأنه سيلي تجهيزه [في
الربذة] عصابة من المؤمنين كان على رأسهم مالك

---

(١) أعيان الشيعة ج ٩ ص ٤١.

الأشتر، وحجر بن عدي، وذكر مالك عند النبي (صلى الله عليه وآله) فقال فيه:
" إنه المؤمن حقا " وهذه الشهادة لا تعد لها شهادة الدنيا بأسرها لأنها صدرت عن أعظم إنسان في الدنيا، وهي دليل على أن مالكا كان شابا في عهد النبي له وزنه وله رأي في قومه. وإنه دخل الإسلام كما دخل فيه غيره من عظماء هذا العهد المبارك.
لم ير مالك النبي ولم يتشرف بالاستماع إلى حديثه، فهو لا يعد من الصحابة بل من التابعين لهم بإحسان، وكان موضع تقدير وإجلال كبار الصحابة أمثال أبي ذر، وعمار بن ياسر، وهاشم المرقال، وغيرهم، وقد قضى جل حياته مع أولئك النفر الأتقياء الأبرار، بين يدي إمامهم أمير المؤمنين (عليه السلام).
كان مالك الأشتر من زعماء العراق الأشداء، فارسا صنديدا لا يشق له غبار، شديد البأس، رئيس أركان الجيش لعساكر أبي الحسن علي (عليه السلام) في معاركه،

وهو من زعماء مذحج الأبطال المغاوير، وسيد قوم النخع وشجعانها المساعير، ومن رواسي الجبال في الحلم، ومن السحاب الثقال في الكرم والسخاء.

أما في السياسة فكان من الأكياس الحازمين، يجمع بين اللين والعنف فيسطو في مضوع السطو، ويرفق في موضع الرفق، قد شهد له بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال عنه: " إنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل ".

وهو خطيب مفوه، وقائد عسكري محنك، وشاعر ألمعي، وناثر متكلم، وقد استطاع أن يخمد بذلاقة لسانه من الفتن العمياء ما أعيى السيف إطفاؤها في كثير من المواقف والشواهد التي نصر فيها الحق وحارب الباطل.

قال الأستاذ أحمد الجندي:

كان مالك الأشتر، من شخصيات التاريخ الإسلامي النادرة، ومن أبطال الحرب البارزين في أيام

العرب، جمع البطولة إلى النجدة، والشجاعة إلى الدين، والفصاحة والبلاغة إلى الكرم والأدب، ورغم ما مر بك من صفات الرجل فإن التاريخ لم ينصفه، ولم يحص مآثره وأمجاده (١).

قاتل أبا مسيكة الأيادي عندما ارتد عن دين الإسلام، وجمع الجموع لمحاربة المسلمين في عهد الخليفة الأول أبي بكر، وجرح جراحة بليغة، لكنه لم يثنه جرحه عن مقاتلة أبا مسيكة، فعاد إليه وقاتله فقتله بعد أن وعظه ونصحه فلم يتعظ ولم ينتصح.

كما شارك مالك (رحمه الله) في معركة اليرموك، وقاتل قتال الأبطال حتى شترت فيها عينه، فصار يلقب بالأشتر.

بعد ذلك أرسل مددا لمحاربة كسرى في القادسية وذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وبعد انتصار المسلمين في تلك الحروب عاد إلى أهله ووطنه في

---

(١) ديوان مالك الأشتر ٧ - ٨، طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢١٣، سفينة البحار ج ١ ص ٦٨٦.

الكوفة، وكان زعيم مذحج ونخع.
وكان مالك الأشتر، وحجر بن عدي الكندي من
الذين شهدوا وفاة أبي ذر وقاموا بتجهيزه بعد وفاته، لما
مر ركبهم على الربذة بطريقهم إلى الحج، وبعد دفنه وقف
مالك على قبره يأبنه، ورثاه بهذه الكلمات الرائعة.
اللهم هذا أبو ذر جندب بن جنادة بن سكن
الغفاري، صاحب رسولك محمد (صلى الله عليه وآله) اتبع ما أنزلت [على
رسولك] من آياتك، وجاهد في سبيلك، ولم يغير ولم
يبدل، لكن رأى منكرا فأنكره بلسانه وقلبه فحقر وحرم
حتى افتقر، وضيع حتى مات غريبا في أرض غربة.
اللهم فاعطه من الجنة حتى يرضى، واقصم من
طرده وحرمه، ونفاه من مهاجره حرم رسولك محمد (صلى الله عليه وآله).
ولما استاء الصلحاء من أهل الكوفة وضاقوا ذرعا
لتصرفات الوليد المستهتر الماجن المعلن للفسق والفجور،
وشرب الخمور، شكوه إلى عثمان خاصة عندما صلى بهم
صلاة الصبح ست ركعات، ثم توجه إلى المصلين وهو

سكران قائلا: هل أزيدكم، وبعد أن تقيأ ما شرب من الخمر في المحراب وعلى المنبر، وانطرح ثملا لا يشعر بما حوله تقدم الأشتر ورفاقه فاستل الخاتم من يده وهو لا يحس أبدا وقصدوا به إلى الخليفة عثمان في المدينة يشكونه.

ومع ذلك كله فلم يسمع عثمان شكواهم واتهمهم بالكذب حتى اضطر إلى جلبه من الكوفة إلى المدينة لمحاكمته، حتى أثبتوا ذلك بالبينة القاطعة والشهود العيان، عند ذلك وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) وأقام عليه الحد وجلده وعزله تحت ضغط الثوار.

كان قد برز دور الأشتر بوضوح للوقوف بوجه الاستهتار الأموي وطغيانهم الذي وصل أوجه في الكوفة، وفي غيرها من الأمصار الإسلامية.

كما أن أهل الكوفة ثاروا مرة ثانية بوجه سعيد بن العاص حينما استبد بالحكم واستأثر قريش على سائر العرب والمسلمين بكل شئ وزعم أن السواد (١) بستان

---

(١) كانت أراضي العراق خصبة لا سيما الكوفة وما تبعها ولشدة خضارها سميت بالسواد.

لقريش.
استدعى عثمان معظم عماله الذين ضج الناس من تصرفاتهم وعسفهم، وكان سعيد بن العاص أحدهم في المدينة، فعقد عثمان منهم مؤتمرا للنظر في أمر النقمة الشعبية فكان من رأي سعيد بن العاص القضاء على الزعماء، ومن رأي عبد الله بن عامر قوله: " تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه ".
ثم رد عثمان عماله إلى بلدانهم وأمرهم بالتضييق على الناس، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث، " أي إرسالهم إلى الغزو "، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه.
ورجع سعيد بن العاص أميرا على الكوفة يحمل هذه التعليمات فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه فردوه وقالوا: لا والله لا يلي علينا حكما ما حملنا

سيوفنا.
فرجع سعيد بن العاص إلى عثمان مطرودا، فأرسل عثمان مكانه أبا موسى الأشعري.
كل ذلك كان بزعامة الثائر مالك الأشتر، وبسبب مواقفه السابقة الجريئة الصلبة الفعالة، ومطالبته بالحق، نفاه عثمان مرتين عن الكوفة، مرة إلى الشام، والأخرى إلى حمص.
ولما اشتد لهيب الثورة على عثمان في كل الأمصار الإسلامية، خرج مالك الأشتر بمائتين من أشراف أهل الكوفة قاصدا المدينة المنورة إلى عثمان، وكان رأي الأشتر إقناع عثمان بالعدول عن خطته أو الاعتزال عن منصبه، لأنه ليس بكفء لذلك، ولأنه فعل الأفاعيل وأعطى المواعيد القاطعة ولم يف بها للمسلمين، كما أنه حمل بني أمية على رقاب المسلمين.
اعتزل مالك الأشتر عن محاصرة عثمان وعن قتاله.
قال الطبري: وهو يصف حصار عثمان فاعتزل

الأشتر، كما اعتزل حكيم بن جبلة " زعيم البصريين "
وكان ابن عديس " زعيم المصريين "، وأصحابه هم
الذين يحاصرون عثمان وكانوا خمسمائة. ولما قتل عثمان كان
الأشتر هو الذي قاد الجماهير إلى بيعة علي بن أبي
طالب (عليه السلام)، وكان قد نصحه في آخر لقاء له معه بأن يعتزل
الأمر، وسلمه مطالب الثوار، ولكنه ما انصاع لنصحه بل
أخذ بأمر مروان بن الحكم، فطغى وتجبر، ولم ينزل على
حكم الله ولا سنة رسوله، ولا إرادة المسلمين، حتى
حدث ما حدث. فإنا لله وإنا إليه راجعون.
ولما بويع الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة واستتب له الأمر
وسار في أهله بالعدل، لم يرق للبعض من بايعه، وهم
طلحة والزبير فكانوا أول من مد يد المبايعة، على أمل أن
يمنحهم المراكز العالية، والأموال الطائلة، ولما لم يحصلا
على ما يطمحان إليه، خرجا إلى مكة بحجة العمرة.
وهناك التقيا بعائشة وبعض رؤساء الأمويين، وجمعوا
الأموال والسلاح، بحجة الثأر لعثمان، وساروا إلى

البصرة، لإعلان الثورة على الخليفة وإمامهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد تزعمت الحركة والتمرد عائشة، وطلحة، والزبير، وتبعهم عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم وبعض من هرب من المدينة من الأمويين.

وسار الإمام بجيوشه إلى البصرة، وقد بعث الإمام ولده الحسن (عليه السلام) وابن عباس لتعبئة أهل الكوفة، والالتحاق بجيش الإمام الزاحف إلى البصرة لمحاربة الناكثين، وجيش الضلال، غير أن والي الإمام في الكوفة أبا موسى الأشعري خان الأمانة وأخذ يثبط أهل الكوفة عن اللحوق بجيش الإمام، لأنه كان عثماني الهوى استجابة لطلب عائشة منه ذلك، وبقي الإمام بجيش الإمام، لأنه كان عثماني الهوى استجابة لطلب عائشة منه ذلك، وبقي الإمام الحسن وابن عباس أياما وليالي كلما يتم تعبئة كتيبة حتى يثبطها أبو موسى الأشعري، ولم يستطيعا إنجاز أي عمل، حتى وصل مالك الأشتر بأمر من الإمام، ومعه كتاب بخلع أبي موسى الأشعري، عن

الولاية، وعندما دخل الكوفة توجه رأسا إلى دار الإمارة
فاحتلها واستولى عليها وطرد حراسها ومن فيها،
وبعدها أتى المسجد وكان أبو موسى يخطب الناس
ويثبطهم، فهجم عليه وأنزله من المنبر وطرده من المسجد
شر طردة، وعزله عن الولاية، عندها ثار الصلحاء من
أهل الكوفة وأرادوا قتله فمنعهم مالك الأشتر من ذلك.
ثم صعد مالك الأشتر المنبر فحمد الله وأثنى عليه،
وصلى على رسوله وآله ثم قال:
أيها الناس أصغوا إلي بأسماعكم، وافهموا لي
بقلوبكم، إن الله عز وجل قد أنعم عليكم بالإسلام نعمة لا
تقدرون قدرها، ولا تؤدون شكرها، كنتم أعداء يأكل
قويكم ضعيفكم، إلى أن قال: فمن الله عليكم بمحمد (صلى الله عليه وآله)
فجمع شمل هذه الفرقة، وألف بينكم بعد العداوة، وكثركم
بعد أن كنتم قليلين.
ثم قبضه الله وحوله إليه، فحوى بعده رجلان، ثم
ولي بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره، وعمل في

أحكام الله بهوى نفسه، فسألناه أن يعتزل لنا نفسه فلم يفعل وأقام على احداثه، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودنيانا، ولا يبعد الله إلا القوم الظالمين.

وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا، وأعظمهم في الإسلام سهما، ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأفقه الناس في الدين، وأقرئهم للكتاب، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس، وقد استنفركم فما تنتظرون؟! أسعيدا أم الوليد الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر، واستباح ما حرم الله فيكم أي هذين تريدون؟! قبح الله من له هذا الرأي.

ألا فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم، ولا يتخلف رجل له قوة، فوالله ما يدري رجل منكم ما يضره وما ينفعه، وأني لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون أو تبصرون، أصبحوا - إن شاء الله - غدا عادين مستعدين، وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء.

ثم عبأ مالك أهل الكوفة بالمقاتلين والنجدات من

المحاربين كتيبة تتلوها كتيبة، كما عبأ عشيرته من مذحج عامة ومن النخع خاصة لنجدة قوات الإمام (عليه السلام) وسار معهم حتى التحق بجيوش الإمام في البصرة، فلما عبأ الإمام جنده وصف عسكره قام فيهم خطيبا وبعد أن انتهى الإمام من خطبته، قام مالك الأشتر فاستأذن الإمام في الكلام ثم قال:

الحمد لله الذي من علينا فأفضل، وأحسن إلينا فأجمل، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين، ولقد أصبت ووفقت، وأنت ابن عم نبينا، وصهره ووصيه، وأول مصدق به ومصل معه، شهدت مشاهده كله فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة، فمن اتبعك أصاب حظه واستبشر بفلجه، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية.

لعمري – يا أمير المؤمنين – ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه، وفارقا على غير حدث أحدثت، ولا جور صنعت، فإن

زعما إنهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما، فإنهما أول من ألب عليه وأغرى الناس بدمه.
وأشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقنهما بعثمان، فإن سيوفنا على عواتقنا وقلوبنا في صدورنا، ونحن اليوم كما كنا أمس.
وفي حرب الجمل جعل الإمام (عليه السلام) مالكا على الميمنة، فقاتل صناديد العرب المغرر بهم من جند الجمل وقتل الكثير منهم، واشتد القتال وحمي الوطيس وطاحت الرؤوس والأيدي حول الجمل والجمل ما يزال قائما وعليه المرأة، فأمر أمير المؤمنين، بعقر الجمل، لما رأى الإمام (عليه السلام) أن الحرب لا يخمد ضرامها ما دام الجمل واقفا وعائشة راكبة عليه تحرض الناس على قتال الإمام (عليه السلام).
عند ذلك هجم محمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر، وعمار بن ياسر على الجمل فعقروه ووقع الهودج على الأرض، وانهزم المدافعون عنه شر هزيمة كأنهم الجراد

المنتشر وولوا الدبر ووضعت الحرب أوزارها.
جاء الأشتر إلى عائشة بعد أن انهزم عسكرها
وقال لها:
الحمد لله الذي نصر وليه، وكبت عدوه، * (جاء
الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) * كيف رأيت
صنع الله بك يا عائشة؟
فقالت: من أنت ثكلتك أمك.
فقال: أنا ابنك الأشتر.
قالت: كذبت، لست بأمك.
قال: بلى وإن كرهت.
فقالت: أنت الذي أردت أن تثكل أختي أسماء
بابنها؟
قال: المعذرة إلى الله وإليك، والله: لولا إنني كنت
شيخا كبيرا، وطاويا ثلاثة أيام لأرحتك وأرحت أمة
محمد والمسلمين منه.
فقالت: أو ما سمعت قول النبي (صلى الله عليه وآله): " إن المسلم لا

يقتل إلا عن كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل النفس التي حرم الله قتلها ".
قال: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين،
وأيم الله ما خانني سيفي قبلها، ولقد أقسمت أن يصحبني بعدها.
ثم أنشد هذه الأبيات:
أعائش لولا أنني كنت طاويا * ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه * بآخر صوت اقتلوني ومالكا
فنجاه مني شبعه وشبابه * وخوة جوف لم يكن متماسكا
وكان قد كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي لا تزال في مكة قبل خروجها:
أما بعد، فإنك ظعينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أمرك أن تقري في بيتك، فإن فعلت فهو خير لك، وأن أبيت إلا أن

تأخذي منساتك، وتلقي جلبابك، وتبدي للناس شعيراتك، قاتلتك حتى أردك إلى بيتك، والموضع الذي يرضاه لك ربك.

وفي صفين حينما سار جيش الإمام (عليه السلام)، أجبر القائد مالك الأشتر أهل الرقة على إنشاء جسر على نهر الفرات ليعبر جيش الإمام بطريقه لمقاتلة القاسطين، ففعلوا ذلك على كره وخوف منه، وكان جل أهلها عثمانيو الرأي.

كان مال الأشتر اللولب والمحور المستمر الفعال في إدارة الحرب في معركة صفين.

وقد أزال هو والأشعث بن قيس، قوات أهل الشام وقائدها أبا الأعور السلمي عن الفرات بعد أن استولى عليها جنده، ومنعوا أصحاب الإمام الماء وورده.

لقد استأذن مالك الإمام (عليه السلام) قائلا: يا أمير المؤمنين أنموت عطشا وسيوفنا على عواتقنا، ورماحنا في أيدينا؟!

يا أمير المؤمنين لقد أعذرت وأنذرت، قربة من ماء تباع بثلاثة دراهم، فأذن لنا في القتال والحرب.

قاد مالك الأشتر في حرب صفين جيشا تعداده أربعة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، وذلك يوم الأربعاء ١ صفر من عام ٣٧ ه لقتال حبيب بن مسلمة الفهري – من قواد جيش معاوية –.

كما قاد الجند في الوقعة التي حدثت يوم الثلاثاء ٧ صفر عام ٣٧ ه فهزمهم شر هزيمة.

وكان على رأس من قاتلوا في وقعة يوم الخميس ٩ صفر من نفس العام وقد قتل فيها حرس معاوية الخاص، المعممون بشقق الحرير الأخضر، المنعوتة بالكتيبة الخضراء، وهم صفوف خمسة نذروا أنفسهم أن يقاتلوا حتى يقتلوا.

واستمر القتال يوم الخميس إلى ليلة الجمعة ١٠ صفر، وهي ليلة الهرير، وقد خطب فيهم بقوله: اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس،

ورجعت الشمس من الكسوف، واشتد القتال، وأخذ السباع بعضها بعضا، فأنتم كما قال الشاعر:

مضت واستأخر القرعاء عنها * وخلي بينهم إلا الوريع

وقبل أن ينشب القتال يوم الخميس، خرج القائد البطل مالك الأشتر على فرسه ووقف بين الصفوف خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وآله، وقال:

أما بعد، فإنه كان قضاء الله وقدره اجتماعنا في هذه البقعة من الأرض، لآجال قد اقتربت وأمور تصرمت، يسوسنا فيها سيد المسلمين وأمير المؤمنين، وخير الوصيين، وابن عم نبينا، وأخوه ووارثه وسيف من سيوف الله، ورئيسهم معاوية ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق وبقية الأحزاب، يسوقهم إلى الشقاء والنار، ونحن نرجو بقتالهم من الله الثواب، وهم ينتظرون العقاب، فإذا حمي الوطيس وثار القتام، وجالت الخيل بقتلانا وقتلاهم

رجونا بقتالهم النصر من الله، فلا أسمعن إلا غمغمة أو همهمة.
أيها الناس، غضوا الأبصار، وعضوا على النواجذ من الأضراس، فإنها أشد لصرر الرأس، واستقبلوا القوم بوجوهكم، وخذوا قوائم سيوفكم بأيمانكم، فاضربوا الهام، واطعنوا بالرماح مما يلي الشرسوف فإنه مقتل، وشدوا شدة قوم موتورين بآبائهم، وبدماء إخوانهم حنقين على عدوهم، قد وطنوا أنفسهم على الموت، لكيلا تذلوا ولا يلزمكم في الدنيا عار.
ثم أضرمت الحرب نيرانها، واشتبكت السيوف والرماح بعضها البعض واستمر القتال من يوم الخميس إلى ليلة الجمعة ١٠ صفر دون انقطاع وكانت تلك ليلة الهرير، الذين يهر بعضهم على البعض بأسنانهم بعد أن تكسرت السيوف والرماح، وأصبحت الجثث أكواما، فاستشهد فيها عبد الله بن بديل قائد ميمنة جيش الإمام (عليه السلام) كما قتل في تلك الليلة عمار بن ياسر الذي أخبر

عنه الرسول الأعظم بحديثه الشريف: " تقتلك الفئة الباغية "، كما قتل حامل لوائه هاشم المرقال.
ولم يثنه مالك الأشتر كل ذلك، واستمر بالقتال والزحف وقتل من جيش معاوية الكثير الكثير وتقدم حتى انتهى إلى الدرع الواقي لمعاوية الكتيبة الخضراء، فطحن أربعة صفوف منها، وبقي الصف الخامس، ولما قرب الأشتر من فسطاط معاوية بعد أن دحر جيوش الضلال من أهل الشام وكان النصر قريبا... قاب قوسين أو أدنى، وأراد معاوية الهرب أو طلب الأمان.
ظهرت مكيدة وخدعة رفع المصاحف، وانخدع جيش الإمام (عليه السلام).
ولما رفع أصحاب معاوية المصاحف يدعون إلى حكم القرآن قال أمير المؤمنين: إنهم والله ما رفعوها حقا، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين

ظلموا.
فجاءه زهاء عشرين ألفا مقنعين بالحديد [وقيل
أربعة آلاف من جيش الإمام (عليه السلام) يتقدمهم الأشعث بن
قيس] وهم شاكوا السلاح سيوفهم على عواتقهم، وقد
سودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي،
وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين
صاروا خوارج فيما بعد.
فنادوا يا علي: أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت
إليه وإلا قتلناك!
فقال لهم: أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من
أجاب إليه وليس يحل لي ولا يسعني أن أدعى إلى كتاب
الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم
قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، ولكني
قد أعلمتكم إنهم كادوكم وإنهم ليسوا العمل بالقرآن
يريدون.
قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك، وكان الأشتر

صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على معسكر معاوية
ليدخله، فأرسل إليه يزيد بن هاني فأتاه فبلغه، فقال
الأشتر: قل له ليس هذه ساعة ينبغي أن أترك فيها موقعي
إني قد رجوت أن يفتح الله بي فلا تعجلني.
فرجع يزيد بن هاني إلى علي (عليه السلام) فأخبره، وارتفع
الرهيج وعلت الأصوات من قبل جيش الأشتر وظهرت
دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان
والإدبار على أهل الشام.
فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم،
قال: رأيتموني سررت رسولي؟ أليس إنما كلمته على
رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟
قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك؟ قال:
ويحك يا يزيد، قل له أقبل فإن الفتنة قد وقعت.
فأتاه الخبر. فقال الأشتر: الرفع هذه المصاحف؟؟
قال: نعم. قال: أما والله لقد ظننت إنها حين رفعت
ستوقع اختلافا وفرقة.

فقال له يزيد بن هاني: أتحب أنك ظفرت هاهنا [وإمامك] أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه! قال: سبحان الله، والله ما أحب ذلك. قال: فإنهم قالوا لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلك كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك!

فأقبل الأشتر، فصاح بهم: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وسنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم أمهلوني فواقا فإني قد طمعت في النصرة. قالوا إذن ندخل معك في خطيئتك، إلى أن قالوا: دعنا منك يا اشتر، قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبا، قال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأصبتم، يا أصحاب الجباه السود كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلى الدنيا من الموت إلا قبحا يا أشباه الثيب الجلالة ما أنتم برائين بعدها

عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.
فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته،
وضرب بسوطه وجوه دوابهم، فصاح بهم علي (عليه السلام)
فكفوا.
ثم التفت إلى الإمام وقال:
يا أمير المؤمنين " ما أوجبناك لدنيا "، إن معاوية لا
خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له
مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك، وقد بلغ
الحق مقطعه، وليس لنا معك رأي، فإن أوجبت إلى هذه
القضية، فأنت الإمام الرشيد والبطل المجيد، وأن أبيت
ذلك، فاقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد (١).
وحين اضطر الإمام (عليه السلام) إلى قبول التحكيم اختار
الأشتر حكما من قبله، ولكن الأشعث بن قيس، الذي

---

(١) صفين ٤٨٢، شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٥، بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٦٦، الفتوح ج ٢ ص ٢٠٠، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢٤، مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٠.

ترأس الغوغائية من الخارجين على الإمام عارض ذلك، وفرض أبا موسى الأشعري، لعلمه أنه كان عثماني الهوى، ولجأ إلى معاوية بالشام بعد عزله من إمارة الكوفة وطرده.

وبعد التوقيع على صحيفة الصلح، عاد مالك الأشتر إلى عمله بالجزيرة على الموصل، ونصيبين، وسنجار، وهيت، وعانات، وما تحت سلطانه من تلك الربوع والمناطق من أرض العراق، التي كانت في غاية الأهمية لقربها من حدود الشام، وطمع معاوية في فتح ثغرة للدخول منها والإغارة على المسلمين وقد ضبطها ضبطا محكما، والظاهر إنه لم يعد بعد صفين إلى الكوفة، ولم يشارك في قتال الخوارج من أهل النهروان لأنه كان منشغلا بحفظ حدود دولة الإمام (عليه السلام) مع الشام.

لقد استطاع معاوية وعمرو بن العاص أن يثيرا الشغب ويخلقا المتاعب في مصر لوالي الإمام محمد بن أبي بكر وقتله. تمهيدا لاحتلالها.

فلما علم الإمام (عليه السلام) بذلك، كتب إلى مالك الأشتر وهو في نصيبين بالجزيرة:
أما بعد فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسد به ثغر المخوف، وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر، " فخرجت عليه الخوارج، فأقدم علي للنظر فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام ".
وأردفه بكتاب إلى أهل مصر، قال فيه:
بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب إلى الملأ من المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وضرب الجور بأرواقه على البر والبحر فلا حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه، سلام عليكم.
أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله، لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة ولا نائي

الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، لأنه لا يقدم ولا يحجم، ولا يؤخر، ولا يقدم إلا عن أمري أثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم، وشدة شكيمته على عدوكم... عصمكم ربكم بالهدى وثبتكم باليقين (١).

ضاق معاوية بهذا النبأ، وجمع أهل الرأي من أصحابه بما فيهم عمرو بن العاص، ليوحدوا رأيهم في هذا الموضوع، فإن تولية مالك الأشتر أشد عليه وأهم بكثير من أمر محمد بن أبي بكر، وهو بعد لم تغرب عن باله مواقفه البطولية في صفين وبلاؤه، وتضحيته، وتفانيه في سبيل الحق.

وأقبل السحر، ومعاوية لم يغمض له جفن، يرتاع كلما مر على ذهنه شئ من مواقفه البطولية، وخطبه النارية.

فكر طويلا في السبيل إلى تبعيد الأشتر عن مصر،

---

(١) معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ١٦٣.

فله فيها مطامع كثيرة، ولا بد أن يجد السبيل إلى ذلك، ولماذا لا يشتري ضمائر المرتزقة، والذين يعمدون للباطل فيغترفون منه.

فالتفت معاوية إلى ابن العاص، وهذا لا يقل طمعا بولاية مصر وخراجها وحكمها من معاوية يحثه على الامعان في التفكير، وقال: تكلم يا ابن العاص، هل انتيهت إلى رأي؟ أين دهاؤك، يحسدني الناس عليك، وأنت في الزخم لا حس... وابن العاص لا دين له كما يقول هو عن نفسه.

وأخيرا اهتدى ابن العاص لرأي شيطاني وصاح بفرح والخمرة تدب في رأسه قال: أن فلانا وهو صاحب حاجة عندك احمله على اغتياله، فكتب معاوية إلى الجايستار وهو من أهل الخراج، ودهقان القلزم، وأرسل إليه سما قاتلا وأمره أن يحتال على مالك الأشتر حين مروره عليه بطريقه إلى مصر، وإن يسقيه هذا السم، ووعده إن فعل ذلك أن يرفع عنه خراج تلك المنطقة ما

دام حيا.
وعندما بلغ الأشتر القلزم وهي على ليلة من مصر احتال الجايستار فجعل السم في العسل وسقاه إياه، فاستشهد (رحمه الله) من ليلته مسموما من تلك الجرعة من العسل، كان ذلك عام ٣٨ ه على يد عدو الله والدين والإنسانية معاوية بن آكلة الأكباد.
وروي في الاختصار، عن عبد الله بن جعفر قال: إن مالك الأشتر مر بإبله متوجها إلى مصر فصحبه نافع مولى عثمان فخدمه وألطفه حتى أعجبه واطمأن إليه، فلما نزل القلزم أحضر له شربة من عسل بسم فسقاه فمات (١).
ولما بلغ الإمام الخبر المفجع تألم كثيرا، وحزن عليه حزنا شديدا وقال: " إنا لله وإنا إليه راجعون "، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر...
ثم قال: رحم الله مالكا، فقد كان وفيا بعهد،

---

(١) معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ١٦٣.

وقضى نحبه، ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنها أعظم المصائب.

ذكرت الرواية: دخل جماعة على الإمام حين بلغه موت الأشتر فوجدوه يتلهف، ويتأسف عليه، ثم قال: لله در مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فندا، ولو كان من حجر لكان صلدا، أما والله ليهدن موتك عالما، وليفرحن عالما، على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل موجود كمالك؟؟...

يقول: علقمة بن قيس النخعي: فما زال علي (عليه السلام) يتلهف، ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب دوننا، وعرف في وجهه الحزن أياما.

أن جلالة مالك الأشتر، واختصاصه بأمير المؤمنين (عليه السلام) وعظم شأنه مما اتفقت عليه كلمة الخاصة والعامة.

وأخيرا انتهت بموت مالك حياة أعظم رجل من

حواري أمير المؤمنين (عليه السلام) حياة حافلة بالجهاد والتضحية والإخلاص، والنجدة والشجاعة، فعد بذلك من الأبطال الميامين في التاريخ، هذا هو مالك الأشتر، البطل المغوار، والقائد المحنك، فهو فارس، وسياسي، وشاعر.

فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

وفي رواية: وقد رثى الإمام (عليه السلام) مالكا بما لم يرث به أحدا من أصحابه، فقد بدا (عليه السلام) كئيبا حزينا، على قائد جنده المخلص المطيع، وساعده الأيمن في كل الشدائد والخطوب.

فقد صعد الإمام (عليه السلام) المنبر وخطب الناس ونعاهم الأشتر بعد الحمد لله والثناء عليه، والصلاة على رسوله وآله، ثم قال: ألا إن مالك بن الحارث قد قضى نحبه، وأوفى بعهده، ولقي ربه، فرحم الله مالكا، لو كان جبلا لكان فندا، ولو كان حجرا لكان صلدا، لله مالك، وما مالك؟؟ وهل قامت النساء عن مثل مالك؟؟ وهل

موجود كمالك؟؟ رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق.

فلما نزل (صلى الله عليه وآله) من المنبر ودخل داره أقبل عليه رجال من قريش فقالوا: لشد ما جزعت عليه وقد هلك، قال: أما والله إن هلاكه قد أعز أهل المغرب وأذل أهل المشرق، وبكى عليه أياما، وحزن عليه حزنا شديدا وقال: لا أرى مثله بعده أبدا.

كانت لمالك الأشتر خطابات حماسية عديدة في مواقف شتى غير التي ذكرناها (١) ومن خلال خطبه وكلماته الرائعة، ورسائله السديدة، التي لها مساس بحياته السياسية، والاجتماعية، ومواقفه البطولية.

يوضح ذلك الدكتور طه حسين، في ثورة المسلمين على عثمان بزعامة مالك الأشتر في الكوفة، وقد كاد أن

---

(١) جمع معظم الخطب الأستاذ قيس العطار في كتابه مالك الأشتر، طبع قم إيران.

يصيب كبد الحقيقة فيما كتبه عن عثمان والثوار، وعن أعمال عثمان وعماله، فيقول:

فإن عثمان استأثر فأساء الأثرة، وجعل المسلمين طبقات متباعدة تفصل بينها هوة واسعة، من الفقر والغنى، والعناء، والرخاء، كما جعل السلطة بيد أقاربه الذين أفسدوا البلاد، وأهلكوا النسل والحرث. وكلهم من الفساق والفجار، بينما نرى خيار المسلمين، وصلحاءهم يبعدون عن مراكز السلطة الاستشارية، فضلا عن السلطة التنفيذية، فعثمان لا يستشير عليا (عليه السلام) بقدر ما يستشير مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، ولا يستفتي أبا ذر الصادق اللهجة، بل يستفتي كعب الأحبار اليهودي.

ومهما يكن من الأمر فإن أول ما نقمه المسلمون على عثمان هو التمييز الطبقي البغيض، وتفضيل قريش على سائر الناس، والحكم بغير ما أنزل الله، ثم قال الدكتور طه حسين، فالفتنة إذن كانت عربية، [وليس لابن سبأ

المزعوم يد ولا أثر]، نشأت من تزاحم الأغنياء على الجاه والسلطان، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء، ولم يكد نظام عثمان هذا يذاع ويسرع الأغنياء إلى الانتفاع به حتى ظهر الشر، وظهر في الكوفة قبل أن يظهر في أي مصر آخر، كما ظهر في مجلس سعيد بن العاص نفسه... [لما كان واليا على الكوفة]، والشئ المهم هو أن سعيدا هذا قد نفى هؤلاء الناس من أرضهم، وديارهم، وقال: [إن السواد بستان لقريش]، وتسائل الدكتور طه حسين بقوله:

ولست أدري إلى أي حد يجوز للأمير أن ينفي المسلمين من أرضهم [وديارهم] سواء أكان هذا النفي من عند نفسه أو بأمر من الخليفة [عثمان]؟ فإخراج المسلمين عن أرضهم [وديارهم] إنما يجوز إذا قامت البينة عليهم بأنهم حاربوا الله ورسوله، وسعوا في الأرض والفساد (١).

---

(١) مجموعة مؤلفات طه حسين - الخلفاء الراشدون ج ٤ ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

ثم لما اشتدت النقمة على عثمان ولم يستجب لمطالب الثوار قال الدكتور طه حسين.
ثم خرجوا في جمع منهم يقودهم مالك الأشتر، حتى بلغوا الجرعة فانتظروا سعيدا حتى ردوه مكرها، وأكرهوا عثمان على أن يعزله عنهم ويولي عليهم غيره، واختاروا أبا موسى الأشعري، فلم يجد عثمان بدا من استجابة طلبهم وتوليته عليهم، وكذلك أكره على أن يعزل عامله على الكوفة مرتين، عزل الوليد لأنه عبث واستعلى وشرب الخمر، وعزل سعيدا لأنه اشتد وقسى وأسرف في تمييز قريش (١).
وتنبه الدكتور طه حسين، لأحقية الأشتر ومطالبته المشروعة بالدفاع عن القوانين الإسلامية التي أخذ عثمان يبدلها عمليا ونظريا، وأخذ يولي المجان والشبان المستهترين من أقربائه على حساب الآخرين من

---

(١) مجموعة مؤلفات طه حسين - الخلفاء الراشدون ج ٤ ص ٣٠٨.

المؤمنين وأصحاب الرأي وذوي الكفاءات والشرف والدين.
فقال طه حسين: ويكفي أن نقرأ هذا الكتاب الذي أرسله الأشتر إلى عثمان حين ردت الكوفة سعيد بن العاص، لنرى مبلغ سخط الناس والشبان منهم خاصة على عثمان، لأنه آثر بالأمور العامة فريقا من ذوي قرابته، لا يمتازون عن غيرهم بقليل أو كثير.
كتب الأشتر إلى عثمان يقول:
من مالك بن الحارث إلى الخليفة المتبلى الخاطئ الحائد عن سنة نبيه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره.
أما بعد، فقد قرأنا كتابك، فإنه نفسك وعمالك عن الظلم والعدوان، وتسيير الصالحين، نسمح لك بطاعتنا، وزعمت إنا قد ظلمنا أنفسنا، وذلك ظنك الذي أرداك، فأراك الجور عدلا، والباطل حقا، وأما محبتنا فإن تنزع وتتوب، وتستغفر الله من تجنيك على خيارنا وتسيير صلحاءنا، وإخراجك إيانا من ديارنا، وتوليتك

الأحداث علينا، وإن تولي مصرنا عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان، فقد رضيناهما، واحبس عنا وليدك، وسعيدك ومن يدعون إليه الهوى من أهل بيتك... إن شاء الله... والسلام (١) (٢).

وفي دائرة المعارف الإسلامية:

حمل إلى المدينة ظلامة أهل الكوفة من سعيد بن العاص والي العراق من قبل عثمان، ولما فشل في مهمته، ألب الأشتر أهل الكوفة، على سعيد بن العاص، ووضع الصعاب أمامه، إلى أن قال: ولما اشتدت الفتنة وثارت والتي انتهت بقتل عثمان، خرج الأشتر إلى المدينة في مائتي رجل، عام ٣٥ ه، ولكن عليا أغراه بما يعتزمه [الخليفة] من ضروب الإصلاح فرجع الأشتر مع رجاله، غير أنه

---

(١) نقل الدكتور طه حسين هذا الكتاب في ج ٤ ص ٣٢٤ من مجموعة عن أنساب الأشراف.

(٢) مجموعة مؤلفات طه حسين الخلفاء الراشدون ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

التقى في طريقه رسولا للخليفة يحمل أمرا بقتل الأشتر، ومع هذا لم يشترك الأشتر في محاصرة دار عثمان، ولا اشترك في قتله (١).

خطبه الحماسية، ورسائله، واحتجاجاته التي جمعها قيس العطار في كتاب سماه مالك الأشتر

خطبة له في الكوفة بعد رجوعه من منفاه:

أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى، بعث فيكم رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) بشيرا ونذيرا، وأنزل عليه كتابا بين فيه الحلال والحرام والفرائض والسنن، ثم قبضه إليه وقد أدى ما كان عليه، إلى أن قال:

وهذا عثمان بن عفان قد علمتم ما كان منه من

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٢١٠.

الأحداث المكروهة والأفعال القبيحة بأصحاب
النبي (صلى الله عليه وآله)، والآن حين قرأنا كتاب الله عز وجل، وتفقهنا
في دين الله يريد أن نبدل دين الله أو نغير سنة نبينا
محمد (صلى الله عليه وآله).
كلا والله لا نفعل ذلك أبدا. ألا ولا يصبح أحد
منكم إلا بالجرعة (١) فإني معسكر هناك إن شاء الله، ولا
قوة إلا بالله.
تحريضه على رد سعيد بن العاص
هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن هذا السواد
بستان لأغيلمة من قريش؟؟ والسواد مسقط رؤوسكم
ومراكز رماحكم وفيؤكم وفئ آبائكم، فمن كان يرى لله
عليه حقا فلينهض إلى الجرعة.
وقال: أما بعد فإن عاملكم الذي أنكرتم تعديه

---

(١) الجرعة موقع بظهر الكوفة ما يلي طريق المدينة.

وسوء سيرته قد ورد عليكم، وأمر بتجهيزكم في البعوث، فبايعوني على أن لا يدخلها.
وبعد أن نجح في رد سعيد من الجرعة وطرده قبل أن يصل الكفوة، قال: والله يا أهل الكوفة ما غضبت إلا لله ولكم، وقد ألحقنا هذا الرجل بصاحبه، وقد وليت أبا موسى الأشعري صلاتكم وثغركم، وحذيفة بن اليمان على فيئكم وخراجكم.
وقد عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الأشتر، عندما ولاه مصر، وهو من أجمع ما جاء في كتبه (عليه السلام) لوجود السياسة المدنية، والإدارية فيها، ذكرها العلامة الشريف الرضي في نهج البلاغة وهي طويلة وقد اقتطفت جملا منها:
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما أمر به علي أمير المؤمنين مالك بن الحرث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها،

وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها.
أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه " جل اسمه " قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه.
وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند عند الجمحات فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.
ثم اعلم يا مالك إني قد وجهتك إلى بلاد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور. وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك. إلى أن يقول:
أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده،

ومن خاصمه الله أدح حجته، وكان لله حربا، حتى ينزع ويتوب.
وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة، يجحف برضى الخاصة.
ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور، ولا حريصا يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله. إلى أن قال:
ولا يكون المحسن والمسئ عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه.
واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال

الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلا قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهدا منه عندنا محفوظا.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختيارا، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقا، وأصح أعراضا، وأقل في المطامع إشرافا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجه عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن

سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في إستجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلا.

ثم انظر في كتابك فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق.

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا: المقيم منهم، والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك.

وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ.

وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال.

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع.

وإن ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيتك، وإعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى،

فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا
لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من بعد صلحه، فإن العدو
ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن.
إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شئ
أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة
وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها.
وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها
وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في
نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.
وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد فيما
كان من فعلك.
وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها
عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت.
وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة وعما قليل
تنكشف عنك أغطية الأمور وينصف منك للمظلوم.
والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من

حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا (صلى الله عليه وآله).
وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على
إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة
على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في
العباد وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة وتضعيف
الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، وإنا إليه
راغبون، والسلام على رسوله صلى الله عليه وآله الطيبين
الطاهرين وسلم تسليما كثيرا، والسلام.

مصادر البحث

معجم رجال الحديث – للسيد الخوئي ١٤ ص ١٦١.
الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٥٩.
كتاب مالك الأشتر – قيس العطار طبع قم.
أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٨.
من مدرسة الإمام للسيد بحر العلوم ص ٢٣.

الإصابة ج ٣ ص ٤٨٢.
طبقات ابن سعد ٦ / ٢١٣.
سفينة البحار ١ / ٦٨٦.
بحار الأنوار ٨ / ٤٦٦.
مروج الذهب ٢ / ٤٠٠.
الإمامة والسياسية ١ / ١٢٤.
شرح النهج ١ / ١٨٥.
مجموعة مؤلفات طه حسين – الخلفاء الراشدين
٤ / ٣٠٤ – ٣٠٨ و ٣٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم
* (إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) * (١)
كميل بن زياد
الحواريون
خريجو مدرسة: الرسول الأعظم: وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

---

(١) النحل: ١٢٨.

كميل بن زياد

ولد كميل بن زياد قبل الهجرة النبوية بعدة سنين في اليمن. وكانت عائلته واحدة من أكبر العائلات المعروفة باليمن، قدمت هذه القبيلة خدمات جليلة للإسلام، فمالك الأشتر، وهلال بن نافع، وسوادة بن عام، وغيرهم كلهم من قبيلة كميل بن زياد.

سكن معظم أفراد هذه القبيلة بعد الإسلام في الكوفة. يعتبر كميل بن زياد من التابعين، ومن حواري أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يسجل التاريخ بأن كميل كانت له فعاليات في عهد الخلفاء الثلاثة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولكن ورد بأن الحجاج قتله بتهمة الاشتراك في قتل عثمان.

لقد بدأت حياة " كميل " الجهادية المشرقة في عهد الإمام علي (عليه السلام) وقد أعتبر من كبار أنصاره ومؤيديه خلال فترة خلافته.

لقد بلغ قرب كميل من الإمام (عليه السلام) إلى درجة أنه كان يخرج معه في جوف الليل للمناجاة، وبثه بعض الحكم والأسرار.

وعندما استلم الإمام (عليه السلام) زمام أمور المسلمين، عزل بعض الولاة والقادة غير المؤهلين، وعين مكانهم من هو أهل لهذه المناصب، وضمن سلسلة التعيينات هذه، عين الإمام (عليه السلام) كميلا واليا وحاكما على مدينة " هيت " التي تقع على نهر الفرات في العراق، وطلب منه أن يقف بحزم في وجه أطماع معاوية.

وقد بلغت ثقة الإمام (عليه السلام) ب " كميل بن زياد " إلى درجة أنه كتب إلى كاتب بيت المال " عبيد الله بن أبي رافع " يقول فيه سيصلك عشرة من الثقاة لإجراء تصفية الحسابات الخاصة والمتعلقة ببيت المال، فلما استفسر عبيد الله عن أسمائهم، سماهم الإمام (عليه السلام) وكان كميل بن زياد أحدهم، وكان لفترة مسؤولا عن بيت المال.

كما كان على مستوى رفيع من العلم والمعرفة

والفضيلة، مع زهد، وعبادة، وحيطة في كل أموره لا سيما
في عقيدته ودينه، وكان كثير السؤال من الإمام (عليه السلام) في
شتى الأمور، وكان الإمام (عليه السلام) يجيبه عنها ويهتم بها لا سيما
بأسئلته العلمية والفقهية ضمن سلسلة من المواعظ
والحكم، على مسمع من الحاضرين ليستفيدوا منه.
إن تعليم الإمام (عليه السلام) الدعاء المشهور باسمه، وما
جاء فيه من رفيع الأدب، وفنون التهجد والعبادة، لدليل
على ما كان يتمتع به (كميل) من المعرفة العالية، والمنزلة
الرفيعة والقابليات الفذة التي تستوعب ذلك، وكان دائم
الحضور في مجلس الإمام (عليه السلام) أيام تواجده في الكوفة.
اصطحب الإمام (عليه السلام) ذات ليلة كميلا إلى خارج
الكوفة، ولما أشرف على الصحراء، تنفس الصعداء وتأوه
ثم قال:
يا كميل: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على
سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق.
يا كميل: العلم خير من المال، والعلم يحرسك

وأنت تحرس المال، المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله.
يا كميل: العلم دين يدان به، به يكسب الانسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.
يا كميل: هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة [مشهودة] (١) ها... إن ههنا لعلما جما (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملة، بلى أصبت لقنا غير مأمون عليه، مستعملا آلة الدين للدنيا، ومستظهرا بنعم الله على عباده، وبحجته على أوليائه، أو منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه، يتقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة، ألا لا ذا، ولا ذاك، أو منهوما باللذات سلس

---

(١) رحم الله الشاعر صالح الجعفري: حيث ترجم هذا المقطع بقوله:
وأرى المال كالرجال فبعض * مات حيا وآخر عاش ميتا

القيادة للشهوة، أو مغرما بالجمع والإدخار ليسا من رعاة دين في شئ، أقرب شئ شبها بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامله.

اللهم بلى، لا تخلو الأرض من حجج الله وبيناته، وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عددا، والأعظمون قدرا يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعونها في قلوب أشباههم، هجم المترفون بهم العلم على حقيقته البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما إستوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى. أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه، آه، آه، شوقا إلى رؤيتهم ثم قال: انصرف إذا شئت.

ومن كلام له (عليه السلام) لكميل بن زياد:

يا كميل، مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم، فوالذي وسع سمعه

الأصوات، ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا وخلق الله له من ذلك السرور لطفا، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره، حتى يطرفها عنه كما تطرف غريبة الإبل.

عاد الإمام (عليه السلام) يوما من سفرة له وكان بصحبته كميل بن زياد، انتهز الفرصة وسأل الإمام (عليه السلام) عن الحقيقة؟

فأجابه الإمام (عليه السلام): إنك لا تستطيع تحمل كنه الحقيقة، ولكنه على ذلك، فشرح له الإمام (عليه السلام) بعض تلك الحقائق، وطلب منه المزيد، فكان يشرح له ذلك بقدر استيعابه.

إن الأسرار التي تعلمها كميل بن زياد من مولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرة قل ما يدركها، ويتعلمها، ويعرفها من نخبة أصحابه (عليه السلام) أمثال أبو ذر، وعمار، وأويس القرني، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم من خواص أصحابه وحواريه.

ومن وصايا الإمام (عليه السلام) حين احتضاره لكميل قائلا له:

يا كميل: لا تجالس المنافقين، ولا تصاحب الظالمين، لكي لا يشملك غضب الله.

كان كميل يصاحب الإمام (عليه السلام) مصاحبة الظل صاحبه، ويستوعب كل كلمة تصدر منه (عليه السلام) يسهر معه ويجالسه في الليالي في مسجد الكوفة إلى ساعات متأخرة يستفيد من حكمه، ومواعظه، وفي ذات ليلة خرج الإمام (عليه السلام) من المسجد وتبعه كميل، وهما يتجولان بين الشوارع والأزقة، إذ سمع كميل قراءة قرآن بصوت خاشع، متأثرا بكلام الله، وهو يتلو هذه الآية:

* (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه * قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) *، وقد تأثر كميل بهذه القراءة، وبهذا الصوت الشجي، وتمنى في نفسه أن يكون شعرة في جسم ذلك القارئ.

التفت الإمام (عليه السلام) إلى كميل وقال: " لا تتأثر بهذا الصوت فإن صاحبه من أهل النار، وسأخبرك بهذا السر في المستقبل ".

وقد أدهش كلام الإمام (عليه السلام) كميلا لسببين، أولا معرفة الإمام بتأثر كميل بصوت القارئ، والسبب الثاني علمه بالغيب، وإخباره بأن صاحب الصوت من أهل النار.

وتمر الليالي والأيام، وتمرد بعض القراء وأهل الجباه السود من السجود، وخرجوا على الإمام في النهروان، ونشب القتال مع الخوارج وانتهت المعركة بقتل الخوارج، ومر الإمام (عليه السلام) على القتلى، وكان معه كميل بن زياد، ووضع رأس سيفه على أحدهم، وقال لكميل: إن هذا المقتول هو ذلك الشخص الذي كان يقرأ القرآن في تلك الليلة، وأنت معجب به، فاهتز كميل من الأعماق، ورمى بنفسه على قدم الإمام (عليه السلام) يعتذر ويطلب من الله العفو والمغفرة.

كان كميل إلى جانب عبادته وزهده، بطلا مقداما في معظم الميادين التي مرت على الإمام (عليه السلام) ولم يقف مكتوف الأيدي تجاه الأحداث.

ذكر صاحب الإصابة في كتابه الجزء ٣ ص ٣١٨ ما يلي:

١ - كميل بن زياد بن نهيك، التابعي الشهير - له إدراك كامل.

٢ - مات سنة ٨٢ للهجرة، وهو ابن سبعين عاما [بل استشهد على يد الطاغية الحجاج الثقفي فيمن استشهد من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)].

٣ - أدرك من حياة النبوة ولم يره.

٤ - روى عنه عبد الرحمان بن عابس، وأبو إسحق السبيعي، والأعمش وغيرهم.

٥ - قال ابن سعد: شهد صفين مع علي (عليه السلام)، وكان شريفا في قومه مطاعا، ثقة قليل الحديث.

٦ - وقال ابن عمار: كان كميل بن زياد من رؤساء

الشيعة البارزين.
وذكر السيد الخوئي (قدس سره) في معجم رجال الحديث
ج ١٤ ص ١٢٨:
كميل بن زياد النخعي، عده الشيخ في أصحاب
أمير المؤمنين (عليه السلام) وفي أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام)، وعده
البرقي من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) من اليمن.
وعده الشيخ المفيد في الإختصاص، من السابقين
المقربين من أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ذلك السابقين المقربين،
وذكر قصته مع الحجاج واستشهاده سأذكرها في نهاية
البحث والترجمة إن شاء الله.
ذكر صاحب الأعلام الزركلي ج ٥ ص ٢٣٤:
كميل بن زياد النخعي، تابعي ثقة، من أصحاب
علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان شريفا مطاعا في قومه: شهد
صفين مع علي (عليه السلام) وسكن الكوفة وروى الحديث، قتله
الحجاج الثقفي. " تحت عنوان ثقات أمير المؤمنين ".
أمر الإمام كاتبه عبيد الله بن أبي رافع أن يدخل

عليه عشرة من ثقاته، فقال: سمهم لي يا أمير المؤمنين، فسماهم جميعا، وكان أحدهم كميل بن زياد.
ولما كتب عثمان إلى الأشتر كتابا وورد على الأشتر وقرأه عزم على الخروج عن الكوفة، وأرسل إليه سعيد بن العاص أن أخرج وأخرج من كان معك على رأيك، فأرسل إليه الأشتر أنه ليس بالكوفة أحد إلا وهو يرى رأيي فيما أظن، لأنهم لا يحبون أن تجعل بلادهم بستانا لك ولقومك، وأنا خارج فيمن اتبعني فانظر فيما يكون من بعد هذا.
قال: ثم خرج الأشتر من الكوفة ومعه أصحابه وهم صعصعة بن صوحان العبدي وأخوه (١) وعائذ بن حملة الظهري، وجندب بن زهير الأزدي (٢)، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، وأصفر بن قيس الحارثي،

---

(١) هو زيد بن صوحان العبدي (الطبري ٥ / ٩٠).
(٢) الطبري: الغامدي. وفي البداية والنهاية ٧ / ١٨٦: العامري.

ويزيد بن المكفف، وثابت بن قيس بن مقنع، وكميل بن زياد ومن أشبههم من إخوانهم (١)، حتى صاروا إلى كنيسة يقال لها كنيسة مريم، فأرسل إليهم معاوية فدعاهم، فجاؤوا حتى دخلوا ثم سلموا وجلسوا، فقال لهم معاوية: يا هؤلاء! اتقوا الله * (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) * (٢)، قال: ثم سكت معاوية، قال له كميل بن زياد: يا معاوية! * (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) * (٣) فنحن أولئك الذين هداهم الله، فقال له معاوية: كلا يا كميل! إنما أولئك الذين أطاعوا الله ورسوله وولاة الأمر فلم يدفنوا محاسنهم ولا أشاعوا مساوئهم، فقال كميل: يا معاوية! لولا أن عثمان بن عفان وفق منك بمثل هذا الكلام

---

(١) قارن الأسماء في رواية الطبري ٥ / ٨٨ و ٥ / ٩٠، والبداية والنهاية ٧ / ١٨٦ وفيه: " وكانوا عشرة، وقيل: تسعة وهو الأشبه " ولم يذكر سوى ثمانية.

(٢) آل عمران (١٠٥).

(٣) البقرة (٢١٣).

وهذه الخديعة لما أتخذك لنا سجنا. فقال له الأشتر: يا
كميل! ابتدأنا بالمنطق وأنت أحدثنا سنا، قال: فسكت
كميل وتكلم الأشتر فقال: أما بعد! فإن الله تبارك وتعالى
أكرم هذه الأمة برسوله محمد (صلى الله عليه وآله)، فجمع به كلمتها
وأظهرها على الناس، فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث، ثم
قبضه الله عز وجل إلى رضوانه ومحل جنانه كثيرا، ثم
ولي من بعده قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه
محمد (صلى الله عليه وآله) وجزاهم بأحسن ما أسلفوا من الصالحات، ثم
حدثت بعد ذلك أحداث فرأى المؤمنون من أهل طاعة
الله أن ينكروا الظلم وأن يقولوا بالحق فإن أعاننا ولاتنا
أعفاهم الله من هذه الأعمال التي لا يحبها أهل الطاعة،
فنحن معهم ولا نخالف عليهم، وإن أبوا ذلك فإن الله
تبارك وتعالى قد قال في كتابه وقوله الحق: * (وإذ أخذ الله
ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما

يشترون) * (١)، فلسنا يا معاوية! بكاتمي برهان الله عز وجل ولا بتاركي أمر الله لمن جهله حتى يعلم مثل الذي علمنا، وإلا فقد غششنا أئمتنا وكنا كمن نبذ الكتاب وراء ظهره، فقال له معاوية: يا أشتر! إني أراك معلنا بخلافنا مرتضيا بالعداوة لنا، والله لأشدن وثاقك ولأطيلن حبسك. فقال له عمرو بن زرارة (٢): يا معاوية! لئن حبسته لتعلمن أن له عشيرة كثيرة عددها لا يضام، شدها شديد على من خالفها ونبزها، فقال معاوية: وأنت يا عمرو تحب أن يضرب عنقك ولا تترك حيا، اذهبوا بهم إلى السجن.

قال: فذهبوا بهم إلى السجن، فقام يزيد بن المكفكف فقال: يا معاوية! إن القوم بعثوا بنا إليك لم يكن بهم عجز في حبسنا في بلادنا لو أرادوا ذلك، فلا تؤذينا

---

(١) آل عمران (١٨٧).

(٢) لم يرد ذكره فيمن أخرجوا من الكوفة، ولعله كان حاضرا معهم.

وأحسن مجاورتنا ما جاورناك، فما أقل ما نجاورك حتى نفارقك إن شاء الله تعالى.
قال: ثم وثب صعصعة بن صوحان فقال:
يا معاوية! إن مالك بن الحارث الأشتر وعمرو بن زرارة رجلان لهما فضل في دينهم وحالة حسنة في عشيرتهم وقد حبستهم، فأمر بإخراجهم فذلك أجمل من الرأي، فقال معاوية: علي بهم، فأتي بهم من الحبس وأطلق سراحهم، ثم قال: كيف ترون عفوي عنكم يا أهل العراق؟
فقام صعصعة وقال: يا معاوية! إننا لا نرى لمخلوق طاعة في معصية الخالق، فقال معاوية قاتلك الله يا صعصعة! قد أعطيت لسانا حديدا، أخرج عني، أخرجك الله إلى النار! فلعمري أنك حدث (١) فخرج القوم من عند معاوية وصاروا إلى منازلهم، فلم يزالوا مقيمين بالشام، وقد وكل بهم حراس يحفظونهم حتى لا يبرحوا.

---

(١) انظر معاوية وصعصعة بن صوحان العبدي في الطبري ٥ / ٨٩، وابن الأثير ٢ / ٢٧٠.

ثم إن معاوية كتب إلى عثمان بشأنهم فرد عليه أن يسيرهم إلى الكوفة، فلما وصلوا كتب سعيد بن العاص إلى عثمان مجددا بشأنهم، فبعث إليه عثمان أن سيرهم إلى حمص، إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسيرهم سعيد بن العاص إلى حمص (١).

روى الواقدي، قال: لما سير بالنفر الذين طردهم عثمان عن الكوفة إلى حمص وهم: مالك الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان، وأخوه صعصعة بن صوحان، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وابن الكواء.

جمعهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [والي حمص] بعد أن أنزلهم أياما، وفرض لهم طعاما ثم قال لهم يا بني الشيطان، لا مرحبا بكم ولا أهلا، وبعد أن سبهم

---

(١) الطبري ٥ / ٨٩ - ٩٠.

وأهانهم، وهددهم، وتوعدهم فأقاموا عنده شهرا، وكان
يقول لصعصعة مالك لا تقول كما كنت تقول لسعيد بن
العاص أو لمعاوية!
فيقولون: أقلنا أقالك الله! فما زال ذلك رأيهم،
حتى قال: تاب الله عليكم، فكتب إلى عثمان يسترضيه
عنهم، ويسأله فيهم، فردهم إلى الكوفة.
رسالة مالك الأشتر إلى عثمان
بيد كميل بن زياد
كتب مالك الأشتر رسالة إلى عثمان، بيد رجال يثق
بهم وفي مقدمتهم كميل بن زياد.

وحين وصول الوفد إلى المدينة، قصدوا دار الخلافة فسلم بعضهم على عثمان بالخلافة، وبعضهم لم يفعل، فسئلوا لم لم تسلموا على الخليفة " بالإمرة " فقال كميل بن زياد: بسبب الأعمال والأخطاء التي عملها، فإن عاد عنها وتاب منها وسلك نهج الصواب فهو أميرنا. وإلا فليس بأمير لنا. فسألوه: ما هي مطالبكم؟ وما أهدافكم؟

فقالوا أولا: أن لا نخرج من أوطاننا المألوفة ولا نفارق عيالنا وأولادنا، وأن توصل إلينا رواتبنا، وأن لا يرسل إلينا شبابا أغرارا من أقاربه يتأمرون علينا، وقد اتبعوا أهواءهم وشهواتهم وأن لا يقدم الأشرار على الأخيار، فقال عثمان: أي أشرار قدمتهم على أخياركم؟... الخ (١).

---

(١) كتاب الفتوح ٢ / ٤٠١.

كميل بن زياد في معركة
الجزيرة مع جيش معاوية
في كتاب الفتوح ج ٤ ص ٢٢٧، ٢٢٨ وجه معاوية
برجل من أهل الشام يقال له عبد الرحمن بن أشم، في
خيل من أهل الشام إلى بلاد الجزيرة، وبالجزيرة يومئذ
شبيب بن عامر وفي بعض المصادر شبث بن ربعي، وكان
من أصحاب أمير المؤمنين، ومن زعماء أهل الكوفة، وهو
الذي صار فيما بعد على جناح من جيش بني أمية لمحاربة
الحسين (عليه السلام) في كربلاء. وكان في ستمائة رجل مسلح مقيما
بنصيبين لحراسة الجزيرة من قبل أمير المؤمنين، فكتب إلى
كميل بن زياد: أما بعد، فإني أخبرك أن عبد الرحمن بن
أشم قد وصل إلي من الشام في خيل عظيمة، ولست
أدري أين يريد؟ فكن على حذر، والسلام. وكان كميل

بن زياد عاملا لأمير المؤمنين (عليه السلام) في هيت.
فكتب إليه كميل: أما بعد، فقد فهمت كتابك وأنا سائر إليك بمن معي في الخيل، والسلام.
ثم استخلف كميل بن زياد رجلا يقال له عبد الله بن وهب الراسبي، على رأس حراسة مسلحة.
وخرج من هيت في أربعمائة فارس وقيل في ستمائة فارس كلهم أصحاب بيض ودروع حتى سار إلى شبيب بنصيبين، وخرج شبيب من نصيبين في ستمائة رجل، فساروا جميعا في ما ينيف على الألف فارس، يريدون عبد الرحمن بن أشم، وكان يومئذ بمدينة يقال لها كفرتوثا في جيش لجب من أهل الشام.
فأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام، وجعل كميل بن زياد يرتجز ويقول:
يا خير من جبر له خير القدر * تالله ذو الآلاء أعلى وأبر
يخذل من شاء ومن شاء نصر

كما جعل شبيب يرتجز ويقول:
تجنبوا شدات ليث ضيغم * جهم محيا عقريان شدقم
يغادر القرن صريعا للفم * بكل عضب صارم مصمم
واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من
أصحاب كميل رجلان، ومن أصحاب شبيب أربعة
رجال، ووقعت الهزيمة على أهل الشام فقتل منهم بشر
كثير، فولوا الأدبار منهزمين نحو الشام. القتلى والجرحى
عشرات، فأمر كميل بن زياد أصحابه أن لا يتبعوا
المنهزمين المدبرين، ولا يجهزوا على جريح.
ثم رجع شبيب بن عامر إلى نصيبين، ورجع كميل
بن زياد إلى هيت وبلغ ذلك عليا (عليه السلام) فكتب إلى كميل بن
زياد أما بعد:
فالحمد لله الذي يصنع للمرء كيف يشاء، وينزل
النصر على من يشاء إذا شاء، فنعم المولى ربنا ونعم
النصير، وقد أحسنت النظر للمسلمين ونصحت إمامك،
وقدما كان ظني بك ذلك فجزيت والعصابة التي نهضت

بهم إلى حرب عدوك خير ما جزي الصابرون والمجاهدون، فانظر لا تغزون غزوة ولا تجلون إلى حرب عدوك خطوة بعد هذا حتى تستأذنني في ذلك، كفانا الله وإياك تظاهر الظالمين، إنه عزيز حكيم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ثم كتب إلى شبيب بن عامر بمثل هذه النسخة ليس فيها زيادة غير هذه الكلمات: واعلم يا شبيب إن الله ناصر من نصره وجاهد في سبيله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

روى جرير عن المغيرة قال: لما ولي الحجاج في طلب كميل بن زياد فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير فقد نفذ عمري، لا ينبغي أن أحرم قومي عطياتهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال له: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا، فقال له كميل: لا تصرف علي أنيابك ولا تهدم علي، فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كواسل الغبار،

فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب،
ولقد خبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إنك
قاتلي، قال: فقال له الحجاج: الحجة عليك إذن، فقال
كميل: ذاك إن القضاء كان إليك، قال: بلى قد كنت فيمن
قتل عثمان بن عفان، اضربوا عنقه فضربت عنقه (١)، فقتل
صابرا محتسبا وصعدت روحه الطاهرة إلى مصاف أرواح
الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.
والسلام عليه يوم ولد، ويوم آمن وجاهد، ويوم
استشهد ويوم يبعث حيا.
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

---

(١) الإصابة ٣ / ٣١٨، ونقله المجلسي في البحار ٤٢ / ١٤٨
ح ١٢.

مصادر البحث
الإصابة ٣ / ٣١٨.
معجم رجال الحديث ١٤ / ١٢٨.
الأعلام للزركلي ٥ / ٢٣٤.
الإرشاد للمفيد ١ / ٣٢٧.
تهذيب التهذيب ٨ / ٤٤٨.
الكامل لابن الأثير ٣ / ١٥٠.
جمهرة الأنساب ٣٩٠.
شرح النهج ٢ / ١٣٤، ١٧ / ١٤٩، ١٨ / ٣٤٦،
١٩ / ٩٩.
الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ / ١٧٩.
تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٠.
البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٦.
كتاب الفتوح ج ٢ ص ٤٠١.